لدرة المغرب
المغرب والجزائر..
حافة الهاوية

افتتاحية

علّقوا الفقيه..

دخلنا حاليا فترة العشر الأواخر، لا أقصد شهر رمضان، بل أقصد المهلة التي حددتها الرسالة الملكية الموجهة إلى رئيس الحكومة بشأن تشكيل هيئة مكلفة بتحضير تصور خاص بتعديل مدونة الأسرة.

ستة أشهر على انطلاق هذا المسار تنتهي متم شهر مارس الحالي، أي أن الأسبوع المقبل سيعرف تقديم خلاصات عمل هذه الهيئة، أو التمديد لها لوقت إضافي، كما حصل مع لجنة العام 2003.

في جميع الأحوال لا يُنتظر أن يسفر هذا المسار عن مفاجآت أو تحولات خارقة. هامش الحركة ضيق جدا ومؤطر بخطب ملكية ورسالة رسمية تجعلنا مقبلين على تدخلات جراحية تتعلق بزواج القاصرات وولاية الأم على أبنائها وربما بعض التدقيق في مساطر الطلاق والتطليق، وتقييد أو منع زواج القاصرات، وأقصى ما ينتظر تحقيقه من تطوّر يتعلق بالتعصيب في الإرث.

الرهان ليس كبيرا إذن في موضوع "الإحالة" الملكية نفسها، خاصة أن مواقف والتزامات الدولة المغربية في جميع النقط الخلافية معروف سلفا وموثق في سجلات الهيئات الدولية والأممية. لكن التجربة التي عشناها في الشهور الستة الماضية، عرّت واحدا من أعطاب الدولة الخفية أو المسكوت عنها: حجم ودور الفاعل الديني في هياكل الدولة ودواليب قرارها.

ليس هذا تركيزا مبالغا فيه على دور أحد أطراف العملية التشاورية المتعلقة بمراجعة المدونة، بل بعنصر شديد الأهمية وبالغ الحساسية في فهم وقراءة سلوك وأفعال النظام السياسي المغربي.

> **تعبّر الدولة بوضوح عن سعيها إلى ممارسة ضغط كبير على علمائها الدينيين لحملهم على الخروج من "منطقة الراحة"**

نحن أمام تدبير استثنائي من خارج الهندسة الدستورية والمسطرة التشريعية القائمة، بما أن نص الدستور أدرج بكل وضوح موضوع الأسرة ضمن مجال القانون الذي يختص به البرلمان بشكل حصري، وبالتالي لا ينبغي أن "نطبّع" مع خطوة التدخل الملكي للإشراف على هذه العملية، دون أن نستحضر ما يحمل الدولة على مثل هذا التعاطي الاستثنائي مع الموضوع: أهمية الدين في شرعنة السلطة.

لا أدري حقيقة هل نحتاج إلى التذكير بكوننا نعيش في حالة ما قبل الديمقراطية، كي لا نقول شيئا آخر، وبالتالي تستمر حاجة الدولة إلى روافد أخرى، غير التمثيلية الديمقراطية، لإسناد شرعيتها وتثبيت أركانها. هذا وصف موضوعي وليس تنظيرا. فأنا شخصيا لا أرى سبيلا إلى النهوض وإقامة الدولة العصرية القوية والمتقدمة خارج الاختيار الديمقراطي. لكن في انتظار ذلك، يهمنا جميعا استقرار الدولة وثبات سلطتها، بما أنها سقف بيتنا جميعا.

هناك مؤسسة إمارة المؤمنين التي تحوز هذه الشرعية الدينية وهي من يتولى تدبير ورش مثل مراجعة مدونة الأسرة، لكن أعمدة هذه المؤسسة هم العاملون في الحقل الديني، من علماء وأئمة ووعاظ... وأهم ما أفرزه لنا مسار النقاش الرسمي حول مراجعة المدونة، هو هذا الشرخ الكبير بين هؤلاء وباقي مكونات وأدوات اشتغال الدولة.

لا يمكننا التغاضي عن هذا الخصاص الكبير الذي كشفته هذه التجربة لدى عموم المواطنين من حيث الاقتناع بانسجام الخطوة الإصلاحية المرتقبة مع ما يعتبره غالبية المغاربة ثوابت دينية. خصصنا في هذه المؤسسة الإعلامية جل حواراتنا منذ بداية رمضان لهذا الموضوع، وهو ما كشف لنا حجم

الطلب والتعطش الكبيرين لسماع رأي المختصين في الدين وعلومه، بينما يلتزم هؤلاء صمتا مريبا.

في المقابل، تعبّر الدولة بوضوح عن سعيها إلى ممارسة ضغط كبير على علمائها الدينيين لحملهم على الخروج من "منطقة الراحة" والخوض معها في تدبير التطورات والمستجدات التي تحتّم التغيير، إما بالمشاركة المطيعة أو التزام الصمت. وهي محقة في هذا المسعى، لكنها مخطئة في الطريقة.

لا يمكن للدولة التي سيّجت الحقل الديني وأحكمت إغلاق أبوابه على المشتغلين فيه ومنعتهم من الاشتباك مع قضايا المجتمع بمبرر عدم "تسييس" الدين، وحالت دون خلق مؤسسات علمية ودينية حية ونشيطة ومتفاعلة، كما كان يفترض أن تكون دار الحديث الحسنية ورابطة علماء المغرب مثلا، أن تأتي اليوم لتحاول الضغط على علمائها بهذا الشكل الذي نلاحظه في مسار تعديل المدونة والدرس الحسني الافتتاحي.

صحيح أن علماء الدين لا يواكبون العصر ولا ينتجون أجوبة ولا حلولا عملية ومتناسبة مع تطورات العصر، لكن العطب الأصلي في سلوك واختيارات الدولة نفسها، من جهة لأنها تبقي شرعيتها مرتهنة للحقل التقليدي، متناقضة في ذلك مع خطاب "المشروع الحداثي الديمقراطي" الذي سوّقته في مرحلة سياسية سابقة، ومن جهة أخرى لأنها تغلّب منطق الضبط والمراقبة الأمنيين في تدبير الحقل الديني، فتحوّل الاحتكار من معنى "التحييد" إلى إضعاف وتقييد.

لا أريد أن أذكّر بالدور الذي لعبه علماء الدين تاريخيا في الدولة المغربية، والذي جعلهم على الدوام قوة مضادة تكاد تحوز من القوة والنفوذ والسلطة ما يتجاوز الدولة نفسها. بل إن المرجعية التاريخية والدينية التي تؤطر إمارة المؤمنين تجعل العلماء مؤسسين لشرعية الدولة في المغرب، عبر مفاهيم "الحل والعقد" و"النصيحة" و"البيعة"... ونماذج الإشكالات التي نجمت عن اصطدام الحكام مع العلماء كثيرة ومعروفة.لهذا سيكون من الخطأ محاولة المرور بالقوة (passage en force) في مواضيع مثل مراجعة المدونة وتغيير موقف المؤسسة الدينية الرسمية من فوائد البنوك... لأننا من حيث نعتقد أننا بصدد التحديث والتطوير، سنكون أمام تجريد الدولة من مصدر حيوي من مصادر شرعيتها، في وقت لم نقم فيه بالحد الأدنى الضروري من الجهد لتمكينها من شرعية جديدة، هي شرعية التمثيل الديمقراطي.

ما نعيشه حاليا ليس بوادر انتصار معسكر "حداثي" أو "تقدمي" من داخل بنية الدولة، على فريق آخر يمكن أن نصفه بـ"المحافظ" أو "الرجعي"، بل نحن أمام خطوة ستضعف الدولة وتعزلها أكثر عن المجتمع، خاصة أن الجناح الديني الثاني، المتمثل في الحركات الإسلامية غير الرسمية، منغمس في رهانات وحسابات سياسية لا تسعفه في إنتاج ما يقدّم ويطوّر المجتمع، ويحفّز علماء الدولة على المواكبة بالتجديد والاجتهاد، وبعدما تم توجيه ضربة قاصمة لظهر مكون أساسي من هذه الحركة، حين ألقي لغم التطبيع مع اسرائيل داخل أسوار بيته السياسي.

خلاصة القول: إن الدولة في المغرب لا يمكنها أن تسعى إلى حيازة شرعية دينية تتغذى على منظومة فقهية واجتماعية محافظة ومقاومة للتغيير، وتحاول في الوقت نفسه ارتداء حلة الدولة المنخرطة في العصر والقادرة على التجديد والتطوير. لكل اختيار ضريبته وايجابياته وسلبياته. وفي انتظار تحقيقنا حلم الدولة العصرية المبنية على الديمقراطية والدستور والمؤسسات، لا يمكننا معاملة مكون أساسي في ضمير المجتمع، هو علماء الدين، بمنطق الإكراه والتهميش والوضع أمام الأمر الواقع.

قديما قال أبو حامد الغزالي إن "فساد الرعايا بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، وفساد العلماء باستيلاء حبّ المال والجاه، ومن استولى عليه حبّ الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل، فكيف على الملوك والأكابر". ومعه ردد المغاربة حكمة شعبية بليغة، تكاد تلخص ما نحن بصدده اليوم، وهي التي تقول: "طاحت الصمعة علقوا الفقيه".

يونس مسكين

الحرب الباردة تدخل مرحلة "العقارات الدبلوماسية"

المغرب والجزائر... على حافة الهاوية

إسماعيل حمودي

تفيد المعطيات المتواترة حول العلاقات المغربية الجزائرية، أننا إزاء اصطدامات حادة ومتكررة ومتتالية، ما يجعلها على درجة عالية من الخطورة، في الوقت الذي ينعدم فيه التواصل المباشر بين مؤسسات البلدين، منذ قطع العلاقات الدبلوماسية من لدن الجزائر في غشت ٢٠٢١ على الأقل، وهي حالة غير مسبوقة، باتت تتفاقم نتيجة الضربات المتبادلة، وآخرها استعمال قرارات إدارية بأبعاد سياسية واستراتيجية، في مؤشر قوي على دخول الطرفين مرحلة تصعيد جديدة نحو الهاوية.

آخر المؤشرات على ذلك، القرار الإداري ذو الأبعاد الاستراتيجية، الذي اتخذه المغرب بشأن نزع عقارات في ملكية الدولة الجزائرية في العاصمة الرباط. قرار اعتبرته الجزائر "مرحلة تصعيد جديدة" في العلاقات بين البلدين، ووصفته بالانتهاك الجسيم لواجب حماية الممثليات الدبلوماسية لدول ذات سيادة".

في هذا السياق، يكتسي مشروع القرار بنزع عقارات في ملكية الدولية الجزائرية أبعادا استراتيجية عميقة، هي التي تفسر المحتوى العنيف لبيان وزارة الخارجية الجزائرية، ويجعلنا نفترض أن القرار المغربي يعلن، على الأرجح، عن طور جديد في مسار التوتر البنيوي في العلاقات بين البلدين، قد ينهي سياسة اليد الممدودة، ويجعلهما أقرب من حافة الهاوية.

دخلت العلاقات المغربية الجزائرية طورا جديدا من التصعيد والتوتر منذ بداية السنة الجارية (2024). آخر المؤشرات على ذلك القرار الإداري، ذو الأبعاد الاستراتيجية، الذي اتخذه المغرب بشأن نزع عقارات في ملكية الدولة الجزائرية في العاصمة الرباط. والذي صدر في صيغة مشروع مرسوم نشر بالجريدة الرسمية ليوم 13 مارس الجاري، يعلن أن "المنفعة العامة تقضي بتوسعة مباني إدارية لفائدة وزارة الشؤون الخارجية والتعاون الافريقي والمغاربة المقيمين بالخارج بجماعة الرباط، بعمالة الرباط، وبنزع ملكية العقارات اللازمة لهذا الغرض". وهو القرار الذي وقعه رئيس الحكومة، باقتراح من وزيرة الاقتصاد والمالية، وبعد استشارة وزير الداخلية.

أربعة أيام بعد ذلك، ردّت وزارة الخارجية الجزائرية في بيان شديد اللهجة يتحدث عن "مرحلة تصعيد جديدة" في العلاقات بين البلدين، ووصفت القرار المغربي بأنه "مصادرة لممتلكات سفارة الدولة الجزائرية في المغرب"، ويشكل "انتهاكا جسيما لاحترام وواجب حماية الممثليات الدبلوماسية لدول ذات سيادة"، و"ينحرف بشكل خطير عن التزامات اتفاقية فيينا حول العلاقات الدبلوماسية". وقالت الخارجية الجزائرية إنها "سترد على هذه الاستفزازات بكل الوسائل التي تراها مناسبة، كما سيتم اللجوء إلى كل السبل والوسائل القانونية المتاحة، سيما في إطار الأمم المتحدة من أجل ضمان احترام مصالحها".

بين قرار مغربي يبدو عاديا جدا من حيث الشكل، صدر مثله من قبل وشمل عقارات سفارات أخرى في محيط وزارة الخارجية المغربية، وبيان جزائري أقل ما يقال عنه أنه شديد اللهجة والانفعال، إذ يتحدث عن استفزازات، وعن مرحلة تصعيد جديدة، وعن مصادرة وعملية سلب موصوفة، يبدو قرار نزع ملكية العقارات الجزائرية أكبر من مجرد قرار إداري، خصوصا وأنه تزامن مع عدة خطوات جزائرية تصعيدية ضد المغرب من قبيل الخلاف الحاد بين البلدين داخل أروقة الاتحاد الافريقي حول الرئاسة الدورية للاتحاد، والتي كان يفترض أن تذهب لأحدهما في حالة التوافق، لكن فشلهما في ذلك جعل رئاسة الاتحاد تؤول إلى موريتانيا؛ ثم إعلان الجزائر عن التكتل الثلاثي الذي يشمل تونس وليبيا، ويستثني المغرب وموريتانيا، تزامنا مع ذكرى تأسيس الاتحاد المغاربي؛ ثم احتضان الجزائر لحزب انفصالي منسوب للريف، والترخيص له بفتح تمثيلية في العاصمة الجزائرية، ناهيك عن محاولة الجزائر مزاحمة المصالح المغربية في موريتانيا ودول الساحل وغرب افريقيا.

في هذا السياق، يكتسي مشروع القرار بنزع عقارات في ملكية الدولية الجزائرية أبعادا استراتيجية عميقة، هي التي تفسر المحتوى العنيف لبيان وزارة الخارجية الجزائرية، ويجعلنا نفترض أن القرار المغربي يعلن، على الأرجح، عن طور جديد في مسار التوتر البنيوي في العلاقات بين البلدين، قد ينهي سياسة اليد الممدودة، ويجعلهما أقرب من حافة الهاوية.

قرار إداري بأبعاد استراتيجية

في الشكل نحن إزاء قرار إداري موقع من لدن رئيس الحكومة، ويجد مرجعيته في القانون رقم 7-81 المتعلق بنزع الملكية لأجل المنفعة العامة وبالاحتلال المؤقت الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1-81-254 المؤرخ في 6 ماي 1982.

يقضي مشروع المرسوم بنزع ملكية 6 عقارات، ثلاثة منها في ملكية الدولة الجزائرية، مساحتها مجتمعة 1740 متر مربع. ويعلن مشروع المرسوم عن وضع ملف تلك العقارات بمكاتب جماعة الرباط لمدة شهرين

من أجل تلقي ملاحظات وتصريحات المعنيين بالأمر طبقا للفقرة الثانية من المادة 10، وانسجاما مع المادة 6 من القانون التي تؤكد أن المنفعة العامة تعلن بقرار إداري، لكنها لا تنزع سوى بحكم قضائي حائز على قوة الشيء المقضي به (المادة2)، ما يعني أن مسطرة نزع ملكية العقارات الجزائرية في بدايتها، وقد تأخذ وقتا.

لكن في الجوهر نحن أمام مواجهة دبلوماسية جديدة بأدوات إدارية، وهو ما تكشف عنه المعطيات التي كشف عنها كل طرف من جهته. بحسب الرواية المغربية؛ تعود محاولة نزع ملكية العقارات الدبلوماسية الموجودة في محيط وزارة الخارجية المغربية إلى سنة 2008، بمعنى أننا أمام فترة طويلة نسبيا مرت على إثارة الموضوع بين البلدين، حصلت خلالها تطورات عديدة في العلاقات، منها نقل السفارة الجزائرية من مكانها القديم بجوار مقر الخارجية المغربية إلى طريق زعير الذي يتحول تدريجيا إلى مركز للسفارات الأجنبية، حيث شيدت على قطعة أرضية بمساحة 5 آلاف متر مربع

اقتناها الملك محمد السادس من ماله الخاص وأهداها للجزائر. وقبل أن تقطع الجزائر علاقاتها الدبلوماسية مع المغرب، من جانب واحد، في غشت 2021، كانت مصالح السفارة والإقامة الدائمة للسفير

> **المنفعة العامة تقضي بتوسعة مباني إدارية لفائدة وزارة الشؤون الخارجية والتعاون**

قد انتقلت إلى المقر الجديد في طريق زعير الراقي في العاصمة الرباط.

المصدر الدبلوماسي المغربي الذي تحدث لوكالة الأنباء الفرنسية وبعض الصحف المغربية، كشف في هذا السياق عن عدة مراسلات جرت بين المصالح الدبلوماسية في البلدين، منها 8 مراسلات مغربية إلى السلطات الجزائرية التي ردت بما لا يقل عن 5 مراسلات رسمية، كما تم استقبال القنصل العام للجزائر في مدينة الدار البيضاء 4 مرات في مقر وزارة الخارجية المغربية حول الموضوع نفسه. وتشير وثائق صادرة عن القنصلية الجزائرية في الدار البيضاء، تداولتها بعض الصحف المغربية ونشطاء في وسائل التواصل الاجتماعي، إلى أن المغرب اقترح، في مارس 2022، اقتناء العقار الجزائري المغلق، الذي يعد في الأصل هبة من الملك الراحل الحسن الثاني للدولة الجزائرية، وقد وافقت الجزائر على الاقتراح، وطلبت مهلة سنتين، لتقييم العقار وإخلائه، وفي 20 ماي 2022 وجهت القنصلية الجزائرية بالدار البيضاء رسالة إلى الخارجية المغربية تخبر من خلالها الجانب المغربي بأنه تم إجراء تقييم للعقار مقر السفارة الجزائرية سابقا، وأنه سيتم إخلاء المبنى وإزالة محتوياته وفقا للأعراف الدبلوماسية بمجرد الانتهاء من عملية البيع. والملاحظ أن المهلة التي طلبتها الجزائر قد انتهت بالفعل في مارس الجاري، ما دفع المغرب إلى نشر مشروع المرسوم السابق الذكر أعلاه بشأن نزع الملكية لأجل المنفعة العامة.

بالمقابل، تكشف المعطيات المتاحة أيضا أن الجزائر لجأت إلى الأسلوب الإداري نفسه إزاء مقر إقامة السفير المغربي في الجزائر، حيث أعلنت في مارس 2022، إلى نزع مقر إقامة السفير المغربي دون اقتراح تقديم تعويض، ولا احترام القانون الجزائري بشأن نزع الملكية لأجل المنفعة العامة، بحجة أن تلك الإقامة تعد في الأصل هبة من الدولة الجزائرية. وقد أخبرت القنصلية الجزائرية بالدار البيضاء بهذا القرار الجزائري، في مراسلة مؤرخة في 14 مارس 2022، موجهة إلى وزارة الخارجية المغربية، تضمنت إخبارا موجزا يفيد بأن السلطات الجزائرية قد شرعت في نزع بعض الممتلكات المجاورة لقصر الشعب الجمهوري في العاصمة الجزائر، ومن ضمنها مقر سفارة المملكة المغربية، وذلك

يتبع...

من أجل إعادة تهيئة مدينة الجزائر.

هكذا تبدو القضية مجرد نزع إداري لملكية عقارات دبلوماسية هنا وهناك، اقتضتها الحاجة الموضوعية للبلدين، وربما تندرج في إطار مبدأ المعاملة بالمثل في العلاقات الدبلوماسية بين بلدين، يعيشان حالة صراع بنيوي. لكن اللغة العنيفة لبيان وزارة الخارجية الجزائرية تكشف عما هو أبعد من ذلك، إذ أن المنطق يقضي بأن هذه الوزارة لم تكن تغيب عنها المراسلات المتبادلة بينها وبين نظيرتها المغربية حول العقارات موضوع الجدل، واتفاقهما على البيع خلال مهلة سنتين. مثلما يقتضي المنطق العقلي نفسه استبعاد أن تقع الدبلوماسية المغربية في أخطاء تتعلق بالقانون الدبلوماسي الذي يمنح الحصانة المطلقة للبعثات الدبلوماسية ومقراتها. فما الذي يدفع الجزائر إلى الانفعال إلى درجة الحديث عن مرحلة تصعيد جديدة في العلاقات بين البلدين؟

لماذا التصعيد الجزائري؟

من المؤكد أن قدرة الجزائر على الحركة والمناورة باتت ضيقة جدا، جراء الضغط السياسي المتزايد على النظام السياسي من الداخل والخارج، ما يجعله يبدو في كل تحركاته الداخلية وكأنه يسير برأسين: الرئيس المنتخب عبد المجيد تبون، الذي انتخب رئيسا سنة 2019 في انتخابات عرفت أدنى مشاركة انتخابية في تاريخ الجزائر، بحيث لم تتجاوز نسبة المشاركة فيها 26 في المائة؛ وقائد الجيش الجنرال السعيد شنقريحة، الذي يظهر إلى جانب تبون باستمرار، في كل صغيرة وكبيرة، على خلاف تقاليد الجيوش في جل دول العالم. علما أن الحراك الشعبي الذي شهدته البلاد سنة 2019، توقف نتيجة الظروف التي فرضها وباء كوفيد 19،

قانونيون: مسطرة إدارية عادية ومشروعة للمغرب

عبد الرحيم العلام

طفى إلى السطح نقاش قانوني حول مدى احترام هذا القرار الذي اتخذته السلطات المغربية بمباشرة مسطرة نزع الملكية لعقارات في الرباط تعود ملكيتها للسلطات الجزائرية لمقتضيات القانون الدولي والاتفاقيات الدولية ذات الصلة، ومدى توافق ذلك مع واجب حماية الممثليات الدبلوماسية للدول.

لا إشكال قانوني

وفي هذا الصدد يقول أستاذ القانون الدولي والعلاقات الدولية بجامعة محمد الخامس بالرباط، تاج الدين الحسيني، إن الأمر يتعلق بمسطرة عادية تدخل ضمن القانون الداخلي، وهي إمكانية نزع ملكية بعض الأراضي من أجل المصلحة العمومية وهذه الصيغة مقبولة أيضا حتى على مستوى القانون الدولي، سواء تعلق الأمر باتفاقية فيينا أو على مستوى العلاقات الدبلوماسية بين الدول.

من جهته قال أستاذ العلاقات الدولية بجامعة القاضي عياض بمراكش عبد الفتاح البلعمشي، إن هذا الأمر مسألة عادية تتعلق بممارسة السلطات العمومية للمصلحة العامة بأن تتخذ القرار الذي تراه مناسبا "شريطة العمل بالمساطر الجاري بها العمل في ما يتعلق بالإخبار وبالتعويض وكل الأمور المسطرية والإدارية والضرورية في استيفاء شروط ومعايير نزع الملكية في القانون المغربي".

وينبه البلعمشي إلى أن المقر الرئيسي للسفارة الجزائرية في الرباط لا يوجد ضمن العقارات موضوع نزع الملكية، التي تعود لمقر سابق للبعثة الدبلوماسية الجزائرية، "بمعنى أنه من الناحية القانونية لا يوجد ما يثير أي إشكال قانوني سواء تعلق الأمر بالقانون الداخلي المرتبط بالتشريع المغربي أو القانون الدولي العام ومنه اتفاقية فيينا لسنة 1961 وما تشير إليه بالنسبة لحماية وحصانة عقارات وممتلكات البعثات الدبلوماسية".

وفي السياق نفسه، أكد تاج الدين الحسيني أن السلطات الجزائرية استفادت بكيفية مجانية من قطعة كبرى لها قيمة جد مرتفعة بالشارع الرئيسي لمدينة الرباط، وهو شارع محمد السادس، وبنت فيها سفارتها، "وبالتالي مسطرة نزع الملكية هي مسطرة قانونية تخضع لعدة مبادئ دستورية وقانونية، بحيث تفتح اللائحة لمدة شهرين حتى يحق لكل الأطراف المعنية بنزع الملكية تقديم ملاحظاتها وآنذاك تقرر الدولة إما مباشرة مسطرة نزع الملكية أو عدم مباشرتها".

وحينما يتم اتخاذ قرار نزع الملكية ثمة طعون يمكن تقديمها على المستوى الإداري وإذا تم تجاوزها، قد تقدم كذلك على المستوى القضائي، "والمحاكم الإدارية نصبت أصلا لهذه الغاية، وهذه الطعون لا تتم بكيفية عشوائية بل تتم في إطار القانون وفي إطار إجراء الخبرة لتحديد القيمة المستحقة للأرض المنزوعة الملكية في حالة قيام ذلك" يوضح أستاذ القانون الدولي تاج الدين الحسيني.

تسييس الموضوع

من جانبها، هاجمت وزارة الشؤون الخارجية الجزائرية المغرب، بعدما باشرت السلطات المغربية مسطرة نزع الملكية لعقارات تعود ملكيتها للدولة الجزائرية في الرباط، واصفة الإجراء المغربي بـ "السلوك الاستفزازي والعدائي" ومتوعدة بالرد.

وفي هذا الباب يقول الأستاذ الجامعي عبد الفتاح البلعمشي: "الجزائر تحاول من خلال هذه المسطرة المتبعة أن تحول الموضوع إلى مسألة سياسية وتستمر في نفس التوجه الذي اتخذته في السنوات الأخيرة في عدم تفويت أي فرصة مهما كانت من أجل التصعيد ومن أجل إبراز المغرب على أنه يمس في الصميم المصالح الجزائرية ".

نفس الرأي ذهب إليه الأستاذ تاج الدين الحسيني الذي أوضح أن السلطات الجزائرية في ردود أفعالها المتشنجة تقوم بمواقف ذات طبيعة عدائية حتى قبل أن يتحقق ما كانت تتحدث عنه، وبالتالي أظن أنه في كل بلدان العالم في إطار العلاقات الدبلوماسية، هذا النوع من القضايا يحسم بكيفية رضائية"، مؤكدا أن السلطات المغربية كانت قد دخلت في حوار مع السلطات الجزائرية بخصوص هذا الموضوع، "إلا أن جواب الجزائر كان سلبيا إلى أبعد الحدود".

توتر مصطنع

وقالت الخارجية الجزائرية في بلاغ لها أصدرته يوم الأحد 17 مارس 2024، إن "المملكة المغربية شرعت في مرحلة تصعيدية جديدة في سلوكياتها الاستفزازية والعدائية تجاه الجزائر، على شاكلة ما تم تسجيله مؤخرا من مشروع يهدف لمصادرة مقرات تابعة لسفارة الدولة الجزائرية في المغرب".

وردا على ذلك يقول أستاذ القانون الدولي والعلاقات الدولية تاج الدين الحسيني، إن "هذا التوتر المصطنع من طرف النظام الجزائري لم يظهر فقط في هذا الملف، بل ظهر في عشرات الملفات، وهو يرتبط برأيه بنزعة عدوانية قوية يمارسها النظام العسكري الجزائري الذي يعتقد في قرارة نفسه أن مصلحة الجزائر تكمن في إضعاف محيطها وأن في هذا المحيط ليس هناك من طرف ينازع مكانة الجزائر إلا المغرب، وبالتالي يتم التوجه ضد المغرب بهذه الطريقة على كل المستويات وذلك منذ فترة جد طويلة في حياة النظام العسكري الجزائري".

وفيما اعتبرت الجزائر أن المشروع المغربي "يمثل انتهاكا صارخا لحرمة وواجب حماية الممثليات الدبلوماسية للدول السيدة، وهي الالتزامات التي يكرسها القانون والعرف الدوليين على حد سواء"، يرى الأستاذ تاج الدين الحسيني أن المغرب عازم في جميع الأحوال على تسوية هذا النوع من القضايا في إطار دبلوماسية متوازنة وفي إطار المعاملة بالمثل وفي إطار تطبيق القانون كذلك، "سواء تعلق الأمر باتفاقية فيينا الخاصة بالعلاقات الدبلوماسية أو بالقانون الداخلي الذي يحميه الدستور وتحميه القوانين الداخلية التي هي نصوص تشريعية ملزمة".

من جهتها قالت مصادر دبلوماسية مغربية لوكالة الأنباء الإسبانية "EFE"، إنه لم يتم المساس بالسفارة الجزائرية ولا بمقر إقامة السفير الواقع بشارع محمد السادس، "لم يخضعا لأي إجراء" ويتمتعان بحماية السلطات المغربية. وشددت المصادر المغربية على أن المبنى موضوع شكايات الجزائر هو "مبنى فارغ غير مستعمل" ويقع في مكان آخر محاد لمقر وزارة الخارجية المغربية، مضيفة أن هذا المبنى كان محل نقاش مع السلطات الجزائرية منذ مدة.

وذكر المصدر ذاته أن "المغرب لا يسعى للاستفزاز أو التصعيد مع الجزائر، وحتى العملية المتعلقة بهذا الموقع وصلت إلى طريق مسدود"، موضحة أن الدبلوماسية المغربية أرسلت منذ يناير 2022 سبع رسائل بخصوص هذا الموقع في تبادلاتها مع الجزائر. ونبهت المصادر ذاتها إلى أن المغرب "عمل دائما على الحفاظ على حسن الجوار بين الدولتين وعلى الأخوة بين الشعبين" الجزائري والمغربي.

الدبلوماسية أن المواقف والردود العنيفة والمتشنجة مؤشر على الضعف والاهتزاز في الحجة والموقف، وليس العكس.

علاوة على ذلك، يفيد السياق الموضوعي أن العلاقات بين المغرب والجزائر دخلت مرحلة تصعيد جديدة بالفعل، في مسار تصعيدي تعود أطواره إلى حادثة الكركرات في 13 نونبر 2020، وبلغ مداه بإعلان الجزائر القطيعة الدبلوماسية من جانب واحد في غشت 2021، وهو قرار كانت له تداعيات خطيرة استطاع البلدان إدراتها.

اليوم يبدو أننا أمام مرحلة جديدة في مسار التصعيد نفسه، بناء على المؤشرات التالية:

أولا، الخلاف حول الرئاسة الدورية للاتحاد الإفريقي في فبراير 2024. لقد كان متوقعا أن تؤول الرئاسة لأحد البلدين، في حالة التوافق بينهما، لتمثيل منطقة شمال افريقيا في الاتحاد الإفريقي (تضم مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا)، لكن المساعي الحميدة التي بذلت في هذا الاتجاه لم تفض إلى نتيجة تذكر، ما وضع هيئات الاتحاد الافريقي أمام خيارين: الأول، الانتقال من منطقة شمال افريقيا إلى منطقة جنوب القارة، وفق التقليد المعمول به، حيث كان متوقعا أن يتولى مسؤولية رئاسة الاتحاد الرئيس الأنغولي. الخيار الثاني، أن يتم عرض الرئاسة الدورية على موريتانيا التي رفض رئيسها في البداية بحجة أنه مقبل على انتخابات رئاسية في يونيو 2024، قبل أن يتراجع ويقبل بتولي المسؤولية، بعد موافقة باقي

الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون

> **في الجوهر نحن أمام مواجهة دبلوماسية جديدة بأدوات إدارية**

دول المنطقة.

ثانيا، توجه الجزائر نحو إنشاء التكتل المغاربي من ثلاث دول (الجزائر، تونس، ليبيا)، مع استثناء المغرب وموريتانيا. ويعني ذلك انخراط الجزائر في تفكيك منظمة اتحاد المغرب العربي التي تضم الدول المغاربية الخمس. وهو توجه تؤكده معطيات أخرى مثل انتقاد الجزائر في بيان رسمي مؤرخ في أبريل 2023، تعيين دبلوماسية مغربية ممثلة للمغرب العربي في الاتحاد الإفريقي، وهو البيان الذي وصف قرارا للأمين العام للاتحاد، بحجم شخصية من عيار الحقوقي والسياسي والدبلوماسي التونسي، الطيب البكوش، بـ"المتهور والطائش".

المعطى الثاني يتعلق بعدم التزام الجزائر بدفع مستحقاتها المالية لاتحاد المغرب العربي منذ 2016، ثم الشروع في سحب جميع دبلوماسييها من الاتحاد، وآخرهم في يوليوز 2022، مع تمتعهم بالمستحقات القانونية من مساهمات الدول الأخرى، وذلك وفق بيان رسمي للأمانة العامة للاتحاد.

أما المؤشر الثالث فيتعلق باحتضان ما سمي بـ"الحزب الوطني الريفي"، وهو حزب غامض، أسسه بعض أعضاء حركة 18 أبريل التي ظهرت للعلن في هولندا

مقر وزارة الخارجية والتعاون في العاصمة المغربية الرباط

على يد أشخاص ملاحقين قضائيا في المغرب بتهمة الاتجار الدولي في المخدرات.

والملاحظ أن احتضان الجزائر لهذا الحزب والترخيص له بفتح تمثيلية في الجزائر العاصمة، حصل بعد فترة قصيرة من الإعلان عنه في شتنبر 2023. وبصرف النظر عن دور المخابرات الجزائرية في ذلك، فإن احتضان السلطات الجزائرية لحزب يطالب بانفصال الريف عن المغرب، يؤكد مرة أخرى أن الجزائر دولة ترعى الانفصال في المنطقة، وتشكل تهديدا للوحدة الترابية لجيرانها، ولاستقرارهم السياسي والأمني، وهو الخيار الذي يقع على النقيض من مبادئ السلم والتعاون الدوليين، كما يتناقض وميثاق الأمم المتحدة، ويفتح باب العلاقات بين البلدين على المجهول.

رغم المؤشرات السابقة، بدت الجزائر وكأنها فوجئت بالقرار المغربي. لكن التفسير الأقرب للواقع يفيد أن الجزائر، ربما، لم تكن تتوقع أن يذهب صانع القرار المغربي إلى حد اقتلاع الجزائر نهائيا من جوار مقر وزارة الخارجية والتعاون الإفريقي في الرباط، بما في كلمة الاقتلاع من دلالات عميقة على انتزاع الأصل ومسح الأثر وبتر البقايا واستئصال

> **من المؤكد أن قدرة الجزائر على الحركة والمناورة باتت ضيقة جدا**

الجذور. وباستحضار معاني الاقتلاع تلك، يبدو القرار الإداري المغربي بأبعاده الاستراتيجية وكأنه يطوي مرحلة سياسة اليد الممدودة نهائيا، ويفتح مرحلة جديدة في العلاقات بين البلدين، تجعلهما معا على حافة الهاوية.

على حافة الهاوية

إذا تقرر أن الخطوات الجزائرية ضد المغرب تفتح باب العلاقات بين البلدين على المجهول، وأن القرار المغربي يطوي مرحلة سياسة اليد الممدودة، فما الذي يمكن تصوره بالنسبة لمستقبل العلاقات بين البلدين في هذا السياق؟

يتخوف المراقبون من اندلاع حرب مباشرة وشاملة بين الطرفين، ستكون مدمرة لكليهما، وقد تعيدهما إلى الوراء عقودا كاملة. هذا السيناريو ليس بعيدا، بل هو قائم بالفعل. فالحرب "جارية بالفعل" كما استخلصت ذلك مجلة "تيل كيل" الفرنسية من مذكرات المؤرخ عبد الله العروي بعنوان "دفاتر كوفيد" والتي نشرت المجلة مقتطفات منها في عددها الأخير تغطي الفترة ما بين 3 غشت 2021 و13 دجنبر 2022.

من خلال خلاصات العروي، تبدو الحرب حالة قائمة بالفعل بالنسبة

للجزائر. ما دام أن الحرب لا تتعلق بقرار محدد وإنما بمسار كامل. ويرسم العروي صورة قاتمة للعلاقات بين البلدين، ليس لأنه يستبعد عدم تطورها في الأمد المنظور، بل يعتبر أنه من اللامعقول الاعتقاد بأن هذا التطور ممكن، حتى كانت هناك مبادرات من شخص، وإن كان على رأس الدولة.

وانتقد العروي القول الرائج بأن الجزائر والمغرب شعب واحد، مؤكدا "الحقيقة أننا في مواجهة شعب آخر". وأوضح: "لا نعرف ماذا يَدرس الشباب الجزائري في أقسام الدراسة حول ماضيهم، وماضي

> **يتخوف المراقبون من اندلاع حرب مباشرة وشاملة بين الطرفين**

الجيران. لا نعرف ماذا يُدرس بمدارس الإدارة والثانويات العسكرية. ما يتعلمه الموظفون والدبلوماسيون والضباط، وغيرهم، طوال سنوات، ويواصلون قراءته في المنشورات الرسمية، لن يمحى من عقولهم بين ليلة وضحاها".

ولاحظ العروي وجود تناقض بنيوي بين النخب هنا وهناك، تجعلهم لا يتكلمون نفس اللغة. وتساءل: "ما هي إيديولوجيا النخبة الجزائرية، سواء كانت في السلطة، اليوم أو لا؟". مؤكدا أنهم يرون في المغرب خطرا على الوحدة الترابية للجزائر، لأنهم يعرفون أن ثلاثة أرباع الجزائر الحالية لم تكن يوما جزءا من الجزائر.

لهذه الاعتبارات، يخلص العروي إلى أن "الجزائر ليس أمامها من خيار إلا احتواء المغرب، وعزله"، بـ"منعه من إقامة اتصال مباشر مع العمق

الإفريقي". ومن هنا، بالنسبة إليهم "ضرورة الحفاظ على التوتر في الصحراء"، لذلك رأى أنه، بالنسبة للجزائر، فـ"الحرب جارية بالفعل".

بالمقابل، يرى عالم السياسة، عبد الله ساعف، أن التوصيف الدقيق لمرحلة التصعيد الجديدة ستجعل البلدان في حالة "لا سلم لا حرب"، نتيجة حالة التوتر البنيوي في العلاقات بين البلدين التي تمت مأسستها وهيكلتها على مدى سنين طويلة، قد تعرف تصعيدا أو تخفيضا في التصعيد حسب التطورات النابعة من الداخل أو القادمة من المحيط الإقليمي، لكن لن تصل بحسب ساعف إلى مستوى الحرب الشاملة والمباشرة. فالمسؤولون هناك وهناك يتذكرون جيدا الحرب العراقية الإيرانية التي استمرت ثماني سنوات، ومن المستبعد أن يسقطوا في نفس الفخ. ويفترض ساعف أن المسؤولين "عندنا وعندهم" يتحلون بقدر كبير من الحسابات العقلانية التي قد تمنع السقوط في حرب مدمرة. لكن من جهة أخرى "نحن أمام توتر بنيوي مهيكل وممأسس، يتم تدبيره على المستوى الاستراتيجي، وسيظل كذلك".

مهما تكن التقديرات الأقرب إلى الواقع، تفيد المعطيات المتواترة أننا إزاء اصطدامات حادة ومتكررة ومتتالية، ما يجعلها على درجة عالية من الخطورة، في الوقت الذي ينعدم فيه التواصل المباشر بين مؤسسات البلدين، منذ قطع العلاقات الدبلوماسية من لدن الجزائر في غشت 2021 على الأقل، وهي حالة غير مسبوقة، باتت تتفاقم نتيجة الضربات المتبادلة، وآخرها استعمال قرارات إدارية بأبعاد سياسية واستراتيجية، في مؤشر قوي على دخول الطرفين مرحلة تصعيد جديدة نحو الهاوية.

"ضربني وشكا".. الجزائر صادرت عقارات مغربية

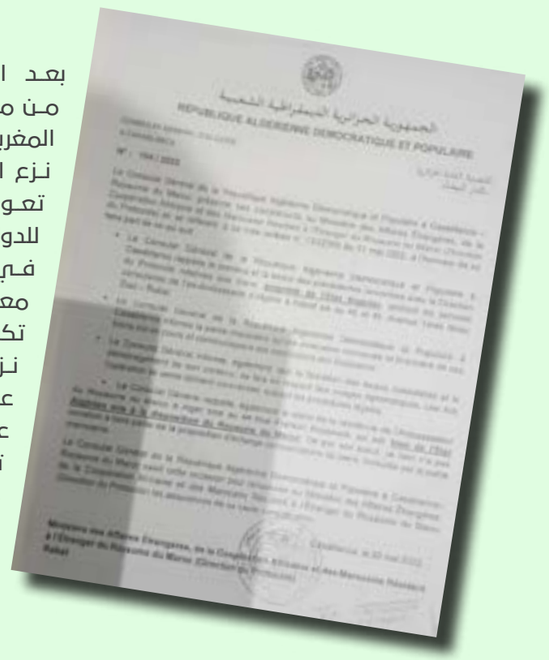

بعد الغضب الجزائري من مباشرة السلطات المغربية مسطرة نزع الملكية لعقارات تعود ملكيتها للدولة الجزائرية في الرباط، ظهرت معطيات جديدة، تكشف تفاصيل نزع الجزائر لملكية عقار مغربي في عاصمتها. وتم تسريب رسالتين موجهتين من القنصلية العامة الجزائرية لوزارة الشؤون الخارجية والتعاون الإفريقي والمغاربة المقيمين بالخارج، تثبت أن الجزائر بادرت في مارس 2022 بنزع ملكية المقر الرئيسي لإقامة السفير المغربي دون اقتراح تقديم تعويض لأنه حسبها كان هبة من الدولة الجزائرية.

وفي نفس السنة، تشير ذات المصادر إلى أن المغرب اقترح دفع مقابل مادي لقاء اقتناء العقار الجزائري المغلق قرب وزارة الخارجية بالرباط والذي كان سابقا مقرا للسفارة الجزائرية في الستينات قبل أن يهب الملك الراحل الحسن الثاني المقر الحالي للسفارة الجزائرية.

وافقت الجزائر على العرض المغربي بداية، وطلبت مهلة -منذ سنتين- لتقييم العقار وإخلائه، قبل أن تصدر هذا الأسبوع بيانا غاضبا، عندما أطلق المغرب مسطرة نزع الملكية، مثلما فعل من قبل مع بنايات تابعة لسويسرا وساحل العاج.

الرسالة الأولى صادرة عن القنصلية العامة الجزائرية وموجهة للخارجية المغربية، تحمل تاريخ 14 مارس 2022 وتتضمن إخبارا جزائريا للسلطات المغربية، بالشروع في نزع ملكية بعض الممتلكات بالقرب من قصر الشعب في العاصمة

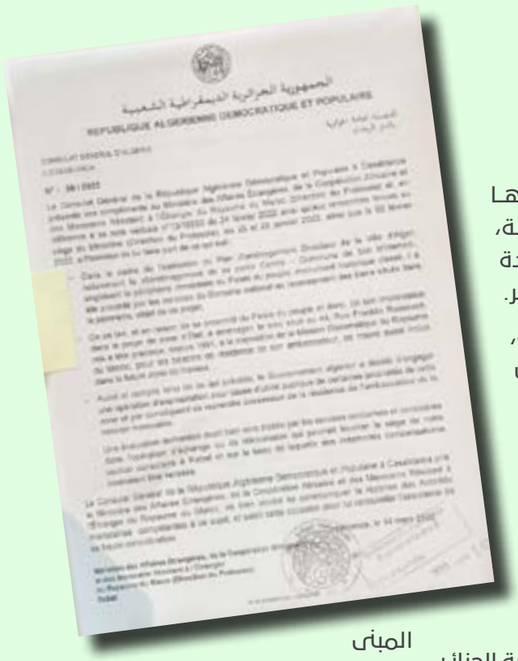

الجزائر، ومن ضمنها مقر سفارة المملكة، وذلك من أجل إعادة تهيئة مدينة الجزائر.

أما الرسالة الثانية، والتي وجهت من طرف المصالح القنصلية الجزائرية للخارجية المغربية بتاريخ 20 ماي 2022 ، فتخبر من خلالها الجانب المغربي بأنه تم إجراء تقييم لعقار المقر السابق لسفارة الجزائر بالرباط والمتواجد بشارع طارق بن زياد في الرباط، مشيرة إلى أنه سيتم إخلاء المبنى وإزالة محتوياته وفقا للأعراف الدبلوماسية بمجرد الانتهاء من عملية البيع.

دراسة لتقاليد المائدة عند السلاطين
الخوان الملكي

هشام الأحرش

صورة من توليد الذكاء الاصطناعي

يندرج النظام الغذائي للسلاطين ضمن مظاهر التفرد الملوكي، الذي يعطي للملك الحق في نظام غذائي مختلف وصارم في بعض الأحيان، بل يخضع لتقاليد مختلفة عمن حوله.

فالنظام الغذائي للسلاطين كما تصوره كتب الاحكام السلطانية، ذو طابع وجودي وأخلاقي، يهدف إلى إثبات الذات، فتتحول المائدة الملوكية من حاجة غريزية إلى واقعة سياسية، مما يجعل الأغذية تابعة لإرادة السلطان وأخلاقه، وإحدى الآليات الخادمة لمشروع الدولة ومعالم نظامها.

لذلك لا بد للمائدة الملكية من شروط تميزها عن غيرها، منها ما يتعلق باتخاذ المطاعم الشهية، والمراكب البهية، فيكون للقصر فضل على غيره من القصور، ولطعامه فضل على غيره من الأطعمة... فالفضيلة لهذه الأشياء لا لمالكها.

والتقاليد هي مجموعة من الممارسات التي تحكمها قواعد ذات طابع طقسي أو رمزي، وتكون هذه القواعد مقبولة علنيا أو ضمنيا، وتسعى إلى غرس قيم ومعايير سلوكية من خلال التكرار، وهو ما يعني التواصل مع الماضي، فهذه الممارسات تحاول تحقيق تواصل مع ماضي تاريخي مناسب، وتختلف التقاليد عن العرف الذي لا توجد له طقوس مهمة أو وظيفة رمزية.

الطباخ أمير مائدة السلطان

يشكل الموقف من الطباخ أحد العلامات البارزة في الحضارة الإسلامية، وهو موقف نعتقد انه انتقل الى بلاط الخلفاء العباسيين من حضارة ما بين النهرين، بالنظر الى المكانة التي كانت للطباخ فيها، وهي مكانة استمدها من كون الطباخ الأول كان كاهنا، وكانت الوصفات جزء من عالم الكهنوت.

وقد حاز الكثير من الطباخين مكانة متميزة داخل البلاط العباسي، فعبادة المخنث الذي كان طباخا للخليفة العباسي المامون سيصبح نديما لهذا الخليفة وطباخه في الآن نفسه.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن هذه العلاقة المميزة التي أضحت بين الطباخ والسلطان، ستخرج الطبيخ من مجال المطبخ إلى مجال التأليف، حيث إن السلاطين سيدفعون طباخيهم لتدوين الوصفات. وبعض الكتب التي وصلتنا عن الطبيخ ثم تأليفها من قبل هؤلاء الطهاة بأمر من السلطان نفسه، فكتاب الطبيخ للبغدادي ألف بأمر من الخليفة العباسي نفسه، وهو الأمر الذي ستعرفه الأندلس والمغرب زمن الموحدين، فصاحب كتاب أنواع الصيدلة لم يكن طباخا عاديا، بل كان ملازما للأمراء والملوك، ويعيش في أجوائهم ومجالسهم، وما يؤكد عيش الطباخ المؤلف في هذا الجو الارستقراطي، ما كان يشير اليه في كل مناسبة، ومثال ذلك، إشارته إلى نوع من السنبوسك كان يصنع في قصر الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور.

هذا التقليد ترسخ في إسبانيا بعد ذلك، حيث إن ألفونس، طباخ الملك فليب الثالث، سيؤلف كتابا عن الطبخ سنة 1611 سجل فيه 500 وصفة طعام أساسها المطبخ الاندلسي بعنوان "الطبخ وعمل الكيك والبسكويت والمربيات".

وهكذا فإن هذا لتقليد الذي ترسخ في البلاط الموحدي سيتحول إلى تقاليد مصاحبة لمطابخ البلاطات في المغرب واسبانيا بعد ذلك، تبرز بشكل كبير مكانة الطباخ في عين سيده. هذا السيد الذي قد يتحول في بعض الأحيان هو نفسه إلى طباخ، فالحسن الثاني كان غالبا ما يقيم مطبخا خاصا في غرفة الطعام، الذي كان يخترع فيه بعض الاطباق ووضع بعض المقادير من مخيلته.

التشريف من خلال مائدة الطعام

تعتبر مأكلة السلطان تشريفا لا يحوزه إلا الاقربون، وذلك بالنظر الى أن السلطان كان في أيامه العادية لا يتناول طعامه إلا وحده، حيث كانت العادة كما يصف مؤرخ الدول، بن زيدان، جارية منذ العصر الإسماعيلي، أن السلطان يأكل طعامه وحده في كل وقت.. ثم يوجه بعد ذلك هذا الطعام لبعض الخاصة من بيته وأقاربه أو من لم يحضر بحضرته من أهله.

عادة تقدم لنا مليكة أوفقير، التي تربت داخل اسوار القصر، وصفا دقيقا لها، فالملك أعطى، وتقصد هنا الملك محمد الخامس الإذن ببدء الطعام، فاخذ الجميع أماكنهم حول الطاولات، وجلس الملك بمفرده على طاولته ثم شرع الخدم بتقديم الوجبة بما لذ وطاب.

وعليه تصبح المناسبات الرسمية خروجا عن العادة ووسيلة لإبراز ليس فقط الكرم السلطاني، بل لإسباغ مظاهر التشريف على من يحظى بشرف الجلوس على مائدة السلطان ومأكله. وهو تشريف كان لا يحظى به إلا القلة ممن حازوا مكانة متميزة داخل المجتمع أو البلاط، إذ يشير الفشتالي إلى أن أحمد المنصور الذهبي كان يطعم بيده العلماء على شاكلة الأمراء وأهل القربى.

الايتيكيت السلطاني

ارتبطت تقاليد مائدة السلطان وما يحيطها من تقاليد، أو ما يصطلح عليه اليوم بإتيكيت المائدة، بمكانة السلطان نفسه، وما يحيط به من مظاهر التشريف والتقديس حتى.

إنها مظاهر يجب ان تبرز هذه المكانة وتسقلها، فالمائدة

هي امتداد لهذا المقدس الذي يحدد الشكل والمحتوى الغذائي، فإذا كان الطعام قد انتقل من حاجة بيولوجية إلى معطى اجتماعي، تحدده شروط الانتماء واشتغالات القيم والمعايير عند عموم الناس، وهو ما يبرز بشكل واضح في آداب المائدة، فإن حضور السلطان يضفي على الأمر بعدا آخر حين يضاف إلى ذلك التقاليد السلطانية الملازمة لشخص السلطان نفسه. وهي تقاليد تضرب بجذورها في عمق التاريخ المغربي، وقد وصف لنا مؤرخ دولة ابي الحسن المريني صاحب كتاب المسند الصحيح الحسن التقاليد المخزنية في الولائم السلطانية بالقول: وإذا أدى السلطان صلاة المغرب ونافلتها، قصد في إعداد مجلسه في مكان الاحتفال، حيث يستدعي الناس للجلوس حسب مراتبهم، ويأخذون المجالس على طبقاتهم، فينتظمون في أحسن زي وأجمل إشارة.

وتعتبر هذه التقاليد المرعية في ترتيب دخول الناس وجلوسهم على الملوك، من التقاليد المرعية منذ الزمن الموحدي. فهذا بن صاحب الصلاة أحد مؤرخي الدولة الموحدية، يصف جلوس الخليفة الموحدي لتقبل تهاني عيد الأضحى بقصره بمدينة قرطبة، حيث يصف مظاهر الأبهة والتشريف التي تحيط بمجلس الخليفة وطريقة استقبال المهنئين الذين يدخلون على الخليفة بحسب منازلهم.

وهي تقاليد ستصبح من العادات المرعية عند سلاطين المغرب، تعبر عن سمو الحضارة المغربية وتألقها، فالفشتالي مؤرخ الدولة السعدية يصف احتفال أحمد المنصور الذهبي بعيد المولد النبوي، بالقول: فإذا طوي بسائط القصائد نشر خوان الأطعمة والموائد، فيبدأ بالأعيان على مراتبهم ثم يؤذن للمسلمين فيدخلون جملة.

أما تقاليد طريقة تقديم الطعام فيشير صاحب كتاب "نفح الطيب"، الى أن هذا الترتيب أخذه الأندلسيون والمغاربة عن المشرق، وهي تقاليد حملها زرياب الفار من بلاط الخليفة العباسي هارون الرشيد، حيث سيضع للطبقات الراقية في الأندلس قواعد للسلوك وآداب الجلوس والمحادثة والطعام "حتى اتخذه ملوك أهل الأندلس وخواصهم قدوة فيما سنّه لهم من آدابه» وسموه "معلم الناس المروءة".

ففي مجال الطعام وآدابه، درّبهم زرياب على إعداد مائدة راقية وأنيقة، تقدم فيها الأطباق حسب نظام وترتيب خاص، فتُقدمُ أولا أطباق الشوربة والسواخن، تليها أطباق اللحم والطيور المتبلة بالبهارات الجيدة، وفي النهاية تقدم أطباق الحلوى من الفطائر المصنوعة من اللوز والجوز والعسل، والعجائن المعقودة بالفواكه المعطرة والمحشوة بالفستق والبندق. وهو ما يلخصه أحد طباخي البلاط الموحدي وصاحب كتاب أنواع الصيدلة في ألوان الأطعمة بالقول: وهو أجمل وأكثر تأدبا وأطرف، وهي طريقة أهل الأندلس والمغرب، رؤساءهم وخواصهم ذوي الفضل من أهلها من أيام عمر بن عبد العزيز وبني أمية، وقد كان كثير أكابر الناس وأتباعهم رسموا أن يوضع على كل مائدة بين يدي الرجل ألوان مفردة، لون بعد لون.

وهو نفسه ما نجده عند البلاط المريني، حيث إن المائدة المرينية تتم على ترتيب مخصوص، كما يقول صاحب المسند، فبعد أن تقدم الأطباق الواحد تلوى الآخر ، يتلو ذلك من الفواكه الطرية ما يوجد في إبانه، وبعدها يؤتى بالفواكه اليابسة ثم الكعك والحلويات، وأخيرا ألطاف السكر، وجميع ذلك على أعجب ما يتحدث به.

هذا الأسلوب سيعتمده الفرنسيون خلال القرن 19، بعدما تخلو عن عادتهم في وضع جميع أنواع الطعام فوق المائدة، واعتمادهم الأسلوب الروسي، حيث أصبح الدور الرئيس في خدمة المائدة يقوم به النادل، حيث يقوم بتقديم نوع من الطعام بعد الآخر، مما يحيلنا على الطريقة التي اعتمدها المغاربة في تقديم الطعام قبل عشرة قرون إلى اليوم.

طريقة وضع الطعام كله على المائدة او ما يطلق عليه اليوم "البوفي" لا تزال معتمدة في الكثير من المناسبات، باستثناء المناسبات الرسمية كما هو معمول به في كل دول العالم، حين يترأس الملوك او رؤساء الدول حفلات الغذاء او العشاء، وهنا تتدخل التقاليد وأعراف الضيافة والبروتوكول لتعيد للمائدة هيبتها وانفها، من اختيار قائمة للطعام محددة وعادة ما تكون من اختار الملك او رئيس الدولة، وتوزيع الحاضرين على الطاولات حسب مكانتهم، ليتم وضع الطعام حسب ترتيب محدد، ومن قبل مكلفين بهذه المهام التي تحاط بالكثير من مظاهر الأبهة والعناية والبروتوكول، لإبراز تقاليد البلاد، حيث أصبحت اليوم مائدة الطعام جزئ مما يسمى اليوم بدبلوماسية المائدة.

الأبهة رفيقة مائدة السلطان

ارتبطت مظاهر الأبهة التي تحيط بالموائد السلطانية بعظمة دولة السلطان نفسه، حيث يحرص السلطان ليس لإظهار كرمه من خلال ما يوضع فوق الموائد من طعام، بل ما يوضع فيه الطعام نفسه من أدوات المائدة، وما يحيط ذلك كله من مكان الوليمة والقائمين عليها.

يقدم لنا محمد التمكروتي، وهو أحد الذين تقلدوا منصب السفارة في البلاط السعدي، ما يحيط بولائم الطعام من تقاليد وأبهة، حيث يصف لنا بدقة المكلفين بتقديم الطعام، الذين عليهم من أنواع الأقبية والمناطق المشدودة عليهم والحزم المحلاة بالذهب والفضة ما تدهش في حسنه العيون، وقد وصف لنا التمكروتي كذلك، الأواني التي يقدم فيها الطعام، فعجله في القصاع المالقية والبلنسية المذهبة، والأواني التركية والهندية المعجبة، لينتهي بوصف ما ينتظر المدعوين بعد انتهاء الطعام، حيث يتم الاتيان بالطسوس والأباريق ويصب الماء على أيدي الناس للغسل، وتنشف الأيدي بالمناشف المبرزة، ومناديل الكتان المطرزة، وتنصب في المجلس مباخر الجاوي والعنبر والعود، وتبرز صحائف الذهب والفضة وأغصان من الرياحيين الفضة فرش بها من تلك الصحائف على كل فرد ماء الزهر والورد فإذا تعطر القوم وتطيبوا، أكثروا من الدعاء للخليفة.

تقاليد ورثها السعديون عمن سبقوهم من الدول التي حكمت المغرب، فقد أورد الناصري في الاستقصاء، أن السلطان أبو عبد الله الشيخ السعدي لما دخل فاس وعليه وعلى أصحابه سمة البداوة، حملوا أنفسهم على التأدب بآداب أهل الحاضرة والتخلق بأخلاقهم، وذكر أن ملك السعديين إنما تأنق على يد رجل وامرأة. فأما الرجل فهو قاسم الزرهوني الذي رتب للسلطان هيئة السلاطين في ملابسهم ودخولهم وخروجهم وآداب أصحابهم وكيفية مثولهم بين أيديهم وأما المرأة فالعريفة بنت خجو فإنها علمته سير الملوك في منازلهم وحالاتهم في الطعام واللباس .

وقد يعتقد القارئ ان التقاليد السلطانية المتعلقة بالمائدة والتي يجب التقيد بها بشكل صارم، تقتصر فقط على المناسبات العامة. إنها جزء أصيل من حياة السلطان اليومية، فبن زيدان، نقيب الأشراف العلويين زمن السلطان محمد الخامس وصهره، يصف لنا تقديم الطعام زمن السلطان الحسن الأول:

"وما طبخ بمطابخ القصر تأتي به الإماء الطبخات حاملات له على نظام خاص يسر الناظرين، تتقدم أمامهن العريفة بيدها عصى تتوكأ عليها وخلفها حملة الطواجن ثم حاملات الموائد ثم العاجنات حاملات لأطباق الخبز في أكفهن اليمنى مسامتات به الأذن، أي ملاصق لأذانهن، وكذلك حاملات الطواجن. وأما الموائد فتحمل على الرؤوس والكل ملفف في مناديل بيض من الكتان الناصع البياض فإذا وضع الطعام امام الجلالة رفعت الأغطية ليعلم السلطان عين الطعام ونوعه، وذلك يغني عما يفعل الآن (يقصد زمن السلطان محمد الخامس) من تقديم ورقة بألوان المأكول، ثم يعيد تغطية الخدم المكلفون بحمل الطعام ويؤدون التحية الملوكية بأعلى أصواتهم الله يبارك فعمر سيدي".

وقد يتحول طقس أكل الطعام في بعض الأوقات الى طقس بسيط لسبب من الأسباب، فالحسن الثاني، كما تصف مليكة اوفقير، كان يأكل وهو يجلس على سجادة صغيرة للصلاة، وأمامه طاولة صغيرة بسيطة من الفورميكا متخذا أدوات مائدة بدائية، رغم ما يحيط به من أجمل الاثاث وأفخرها.

الخوان الملكي

تميزت المناسبات الملوكية، ليس فقط بمظاهر البذخ والأبهة التي تحيطها، بل بما يحتويه خوانها أو قائمة طعامها من أطباق تميزها عن غيرها من الموائد المعتادة عند عموم الناس، وهي أطباق كانت تميز موائد الملوك والأمراء ورجالات الدولة كذلك.

فأمراء بني أمية بالأندلس كانوا لا يشربون إلا العسل، وهو شراب متخذ من العسل المطبوخ، ومن الأطعمة للأمير الموحدي ابى الحسن حفيد عبد المومن بن علي، الذي كان واليا على مراكش في عهد الخليفة يعقوب المنصور الموحدي، نذكر الإسفيريا، وهو من أنواع الأحراش المتخذ من اللحم المفروم، كما كان الأمير المذكور يستحسن أحد أنواع المروزية التي تنعت بالثومية، أما الأمير أبو العلاء أخ الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المومن، فإنه كان ممن عرف بالفوائد الفخمة لما كان حاكما لسبتة وقائدا للأسطول الموحدي بها، ومن ذلك العجل المشوي الذي كان يصنع له، كما أن الخليفة الموحدي يعقوب المنصور الذي كانت تصنع في قصره سنبوسك اللوز دون سنبوسك اللحم والتي كانت مما يكل عامة الشعب.

أطباق كانت جزءا من خوان الكثير من رجالات الدولة، فقد وصف لنا بن الخطيب مائدة عامر بم محمد الهنتاتي الذي كان جزنا من بلاط بني مرين، كما كان أسلافه جزءا من بلاط الموحدين، حيث اشتملت مائدته على فواكه البحر، والثرائد المسمنة، ولحم الخرفان، وأنواع الأسماك، والطيور، وصنوف الحلوى وأطباق الفواكه، وهي أطباق في تنوعها وغناها شكلت خوان السلطان المغربي منذ مئات السنين، حيث أورد المؤرخ الفرنسي لوجي لوطورنو خوان السلطان المولى عبد العزيز أو قائمة الطعام التي كانت تعد في بلاطه في مدينة فاس، حيث تشكل هذا الخوان من البسطيلة بالحمام، تفاية)لحم الضان المشوي الصنوع باللوز (المروزية) لحم مشوي بالتوابل والعسل واللوز(، الدجاج المعمر) دجاج محشو بالكسكسو او الأرز مع الزبيب واللوز (، دجاج مشرمل) دجاج مقطع بالبصل والمعدنوس(دجاج مفند) دجاج بالبيض (، قمامة) لحم مطبوخ جيدا بالبصل والعسل والتوابل (، الصويري) دجاج او لحم ضأن بالزعفران)، كسكسو مدفون بالدجاج (كسكسو بالدجاج بالبصل والزعفران (، كسكسو مسوس) كسكسو بالسكر والقرفة (، الروز المفلفل) أرز بالفلفل(، الروز المكوي) ارز مبخر (، أرز محلبي) أرز بالبن (، والسفة، الحلاوي) حلويات على الأنواع (.

هذا التنوع والغنى كانت تتقاسمه مع القصر السلطاني بيوتات رجالات الدولة وقصورهم، بما يحيط ذلك من تقاليد استمد جزء منها من تقاليد المخزن السلطاني نفسه. أما الجزء الآخر، فقد كان نابعا من تقاليد الكرم المغربي المتأصل في المغاربة منذ القديم. ففي أحد الضيافات التي كان يقيمها رجل بحجم الباشا الكلاوي في قصره بمراكش، سيخبر الابن أباه باندهاشه من عدد الأطباق التي توالت على المائدة، والتي فاقت 17 طبقا، وهو الذي لم يكن يتناول في بيوته غير طبقين أو ثلاث، ليفاجئ الفتى بصرة من 17 قطعة نقدية، نظير عده للأطباق، ولم يكن هذا الفتى سوى المهدي بنونة أول مدير لوكالة المغرب العربي للأنباء.

الغرفة رقم 120

خالد البكاري

صدر تقرير التنمية البشرية الأخير، وككل سنة ينبري من يشكك في المؤشرات والإحصائيات التي بني عليها التصنيف، الذي منحنا الرتبة 120، رغم أن ما جاء به بخصوص بلدنا لا يختلف عن التقارير الصادرة عن المندوبية السامية للتخطيط، أو المجلس الاجتماعي والاقتصادي والبيئي، أو المجلس الأعلى للتعليم، ولم يكن دافع القوم للتشكيك والتبرير سوى أن دولا في الجوار الإقليمي تقدمت علينا في الترتيب، رغم أن النتيجة مخجلة حتى ولو كنا نحن من تقدمنا على الجزائر وتونس مثلا (حلوف كرموص)، إذ تظل دول المغرب الكبير جميعها، والتي تقع على بعد كيلومترات قليلة من أوروبا، بعيدة بمسافات "ضوئية" عن القارة العجوز على مدارج التنمية والتطور واستفادة المواطنين من الخيرات والثروات التي تزخر بها تلك البلدان.

اللافت أنه خلافا لجوقة "التبريرولوجيا" لم تشكك الجهات الرسمية في التقرير، ولا مؤشراته، ولا المعطيات التي بنى عليها خلاصاته، الناطق الرسمي باسم الحكومة وعلى النقيض اعتبر أن تقدم المغرب بثلاث درجات إنجازا يقتضي الاحتفاء به، بمعنى أنه لا يجد حرجا في انتظار قرن كامل من أجل أن نصل فقط للرتبة 100، أما السيد والي بنك المغرب، فبعد أن اعتبر هذا الترتيب غير مشرف على نقيض بايتاس، إلا أنه استدرك بأن من شأن الاستثمارات الموجودة حاليا، وتلك التي وعدنا بها أن تخلق نموا، يمكن من تمويل المشاريع الهيكلية الكبرى، وبالتالي تحسين الترتيب مستقبلا، معطيا نموذجا هو الاتفاقيات الموقعة مؤخرا مع الإمارات العربية المتحدة.

هل معنى هذا أن حصول تقدم في مؤشرات التنمية البشرية بالمغرب يمر حتما عبر قناة جلب استثمارات أجنبية ضخمة؟ وإذا كان الأمر كذلك، فهل مصير الصحة والتعليم وتحسين الدخل الفردي للأسر (المؤشرات الأساس لقياس واقع التنمية البشرية حسب برنامج الأمم المتحدة الإنمائي الذي يصدر التقرير) أصبح بيد الدول المانحة للهبات أو للديون أو الموقعة على اتفاقيات تمويل واستثمار من خلال صناديقها السيادية؟ هل أصبح مصير المغرب الدولة التي يمتد تاريخها إلى ثلاثين قرنا، كما نردد في مناكفاتنا مع الجزائر في يد دولة ولدت سنة 1971؟

> **سننظم جزءا من كأس العالم بعد ست سنوات، ومن الآن يبشروننا بجنة عدن التي سنصبح عليها حين سيأتي ذلك الموعد المنتظر**

قبل جائحة كورونا أقر الملك بفشل نموذج التنمية السابق، وشكل لجنة لاقتراح نموذج تنموي جديد، كانت من خلاصاته الدعوة لتشييد إمكان لدولة اجتماعية،

ولم يتغير شيء في الاختيارات الاقتصادية والاجتماعية والتنموية. مازال الاعتماد على الاستثمارات الأجنبية، وحماية اقتصاد الريع الذي لا يخلق مناصب شغل، وضعف تمويل القطاعات الاجتماعية التي ينظر لها كعبء، مما يعني عدم الاقتناع بأولوية الرأسمال البشري.

ويضاف إلى كل ذلك، الإيغال في ما يمكن تسميته "تنمية الواجهة"، فنحن سبقنا غيرنا قاريا في امتلاك القطار فائق السرعة، وسيكون لنا واحد من أكبر الأبراج في إفريقيا، ونستقبل كل شهر مؤتمرا أو تظاهرة دولية، وكأن الكاميرات لا تصوب دوليا نحونا إلا حين نتحول إلى "ممون حفلات".

سننظم جزءا من كأس العالم بعد ست سنوات، ومن الآن يبشروننا بجنة عدن التي سنصبح عليها حين سيأتي ذلك الموعد المنتظر، و"سينصلح الحال" على مستوى البنيات التحتية، ويقيسون على تجربة إسبانيا 1982، دون أن يستحضروا أن الجارة الشمالية آنذاك استفادت من معطيين أساسيين: الأول هو الانتقال الديموقراطي، والثاني مترتب عنه، وهو رغبة دول السوق الأوروبية المشتركة آنذاك في تقوية الاقتصاد الإسباني للاندماج في منظومته.

إن سياق إسبانيا 1982، غير سياقات اليوم، ويكفي قراءة آثار تنظيم اليونان للألعاب الأولمبية سنة 2004، الذي كان من نتائجه مع أسباب أخرى انهيار اقتصادي.

أما تجربة جنوب إفريقيا 2010 والبرازيل 2014 مع كأس العالم، فأسفرت عن واقع تعميق الفوارق المجالية، ذلك أنه للاستجابة لدفاتر تحملات الفيفا على مستوى البنيات الفندقية والطرقية والصحية والنقل الجوي، عملت الدولتان على تطويرها بالمدن التي ستحتضن المباريات والمناطق القريبة منها، والتي كانت في الأصل متطورة قياسا للمناطق الأكثر حرمانا، وبعض هذه البنيات أصبح عائدها ضعيفا بعد انتهاء البطولة العالمية.

حين نعود إلى الترتيب الأخير لمؤشرات التنمية البشرية، سنجد دولا متقدمة علينا، وهي لا تتوفر مثلنا على اكتفاء طاقي، ومعدل الاستثمارات الأجنبية فيها متواضع (أحيانا لأسباب جغرافية)، غير أنها لا تعتمد نموذجا تنمويا استعراضيا (أكبر، أول دولة تنظم...)، وتحارب الرشوة والفساد، وتضع قطاعات الصحة والتعليم والتشغيل في أولوياتها.

إن تصنيفاتنا في مجالات التنمية البشرية، والعدالة المجالية، والرشوة، وحرية الصحافة، وتقويمات التعليم، وغيرها مخجلة، وتعكس إفلاسا في خيارات الدولة وأولوياتها، ومع ذلك يهلل القوم لنموذج التنمية الاستعراضية التي لا تستفيد منها إلا القلة، ممن تفوز بصفقات المشاريع التي يقال إنها كبرى، والتي ينطبق عليها المثل: أش خاصك العريان؟ الخاتم أمولاي.

مشاريع استعراضية، لو جمعناها لشكلت لوحة "بوزل" لكائن هلامي بلا رأس ولا رجلين، ولكنه بأياد كثيرة تحدث ضجيجا، لكن الكائن يظل ثابتا في مكانه. فهل "تعرفون اللعب بالأيدي؟"

استدراك وتصحيح: أعتذر للقراء عن خطأ وقع في المقال السابق، حين نسبت لحكومة بنكيران رفع كافة التحفظات عن اتفاقية سيداو، والحال أن ذلك كان في أبريل 2011 قبل ثمانية أشهر من تنصيبها، وما صادقت عليه هو البروتوكول الاختياري الملحق بالاتفاقية سنة 2015.

أيها 'الفنان'.. قم للمعلم وفه التبخيسا!

شاءت الصدف أن يتزامن عرض عمل تلفزيوني مثير للجدل حول شخصية الأستاذ المغربي مع حادثة مفجعة أودت بحياة أساتذة وتلامذة كانوا في طريق عودتهم إلى الفصول الدراسية، بعد انتهاء عطلتهم. أثار هذا العمل من جديد صورة الأستاذ، الذي يراد له منذ زمن بعيد أن يتحول إلى مشجب تعلق عليه جميع إخفاقات المدرسة المغربية. والجدل الراهن نابع من أن النية وراء عرض هذه الصورة، التي تمثل الأستاذ تمثيلا سلبيا، هي نية مبيتة ومغرضة، غايتها تكريس موقف نمطي يبخس دور هذا الذي وصفه الشاعر أحمد شوقي، في قصيدته المشهورة 'قم للمعلم'، بأنه يكاد يضاهي مكانة الأنبياء.

وهنا يمكن القول- ولو أن المصاب جلل- إن حادثة أزيلال أعادت إلى الأذهان بعض هذه المتاعب الجمة التي يتحملها الأستاذ، هذا الكائن العجيب، من أجل تعليم أبناء الجبال والوهاد والقفار والصحاري القراءة والكتابة. يتحمل الأستاذ كل هذه المتاعب، في ظل شروط وظروف عمل، أغفلتها الدولة قبل أن يغفلها العمل التلفزيوني موضوع الجدل الراهن. وبما أن هذه المتاعب، التي لا تجازيها الدولة كما ينبغي، ما تزال تثمر إنسانا يعي ما يحاك ضده، فلا بد من تنميط الأستاذ وقلب صورته في الأذهان، من أجل تصويره كائنا "شبع خبزا"، ويستحق أن يجلد ويرجم بالحجر.

لا يهم هنا موضوع العمل التلفزيوني، ولا حتى أدائيته ونتائج مشاهدته. فالمفروض أن يتناول الفن- بمعناه الفعلي- كل القضايا والمواقف والظواهر والشخصيات، بما أنها فاعلة في الدولة والمجتمع بطريقة معينة. وليس الأستاذ أو غيره فوق المحاسبة، وإن عبر بوابة الفن على الأقل. لكن ما يهم هنا هو السؤال التالي: لماذا يتكرر هذا الموقف المجتمعي، بما يثيره من جدل، كل سنة من الأعمال التلفزيونية الرمضانية؟ لماذا يثار كل هذا اللغط منذ عشرين سنة أو أكثر، دون أن تتوقف هذه المؤسسة الرهيبة- التي تسمى تلفزيونا- لتنصت إلى رد الفعل الاجتماعي وتقيم منتوجها، بما يحترم ذائقة المتلقي؟

هناك من اعتبر أن المجتمع ينظر إلى هذه الأعمال المستهجنة بمنظار أخلاقي، أو من زاوية كونها لا تعكس الواقع، ولا الهوية والقيم المغربية، الخ. ورغم أنه لا ينبغي أن نحرم المتلقي من حقه في التعبير عن موقفه من هذه الأعمال، مهما كان منطلقه أو تبريره، إلا أنه لا بد من إبداء ملاحظة مهمة، مفادها أن من يسهرون عليها لا ينصتون حتى للنقاد العارفين والمتبصرين نظريا ونقديا، الذين تصدر مواقفهم منها عن منطلقات فنية وجمالية، ولا شيء غير ذلك، بل ويهملون حتى المرجعيات الفكرية المعروفة التي تؤطر الإبداع عموما.

على سبيل المثال، يقول المفكر المغربي الراحل عبد الكبير الخطيبي إن الإبداع "يبتكر فضاءات جديدة ووطنا جديدا لأحاسيسنا وخيالنا." وأظن أن ما يقصده الخطيبي بهذا الإقرار هو الانتقال بما نراه ونعايشه يوميا من مستواه الواقعي إلى مستوى مجرد، من شأنه أن يدفع بنا إلى مجاهيل قلق السؤال والنقد، وأن يخلصنا من نظرتنا الفولكلورية إلى العالم والأشياء. ومن شأنه أيضا أن يعبر بنا من غريزة العنف التي تبددنا يوميا إلى أفق التجدد المنتج، ومن لغتنا التي تثغثغ بها إلى عالم الرمز الذي يجعلنا قادرين على التواصل والتأويل بشكل منفتح ومتعدد. للأسف، لا نصادف هذه الرؤية في الأعمال التي تعرض في قنواتنا منذ سنوات، إذ يبدو أننا فقدنا هذه البوصلة التي أوضحها الخطيبي وغيره من المفكرين والمبدعين المغاربة منذ سبعينيات القرن الماضي على الأقل.

إن الصورة النمطية التي تنتجها الأعمال الرمضانية حول الإنسان المغربي، أكان أستاذا أم تاجرا سوسيا أم 'عرويا' أم غيرهما، عاجزة عن خلق هذا الوطن الجديد، الذي يتحدث عنه الخطيبي. بل إنها لا تستطيع أن تلبي رغبة الفرجة، التي خلقتها ثقافة الصورة وأثرها العارم، ناهيك أن تناقش هذه التحولات العامة العميقة التي يشهدها المجتمع المغربي منذ بضعة عقود. يبدو الأمر بالفعل كأننا أمة عاجزة عن الإبداع والتخيل. من هنا، لم يعد مقبولا أن تواصل هذه الأعمال التركيز على هذه الصورة النمطية المكرورة، بل أضحى لزاما أن تفكر في استجلاء هذه التحولات، أي أن تخلق وطنا جديدا أمام المشاهد. وفي المقابل، وجب التنويه ببعض الأعمال المعروضة على منصات إلكترونية التي تحظى بمتابعة وتفاعل مهمين. لقد أدركت حاجة المشاهد إلى فرجة جديدة ومغايرة تنصت لنبض التغير الاجتماعي الراهن، وكذا الحاجة إلى تعبير في جديد يتجاوز القنوات التلفزيونية الرسمية إلى صناعة أفق في يليق بذكاء هذا المشاهد. فهل ستنجح هذه المنصات في أن تكون وسيطا بديلا لفن حقيقي يعالج قضايا المواطن وتحولاته بموضوعية، بعيدا عن التنميط؟

محمد جليد

الهجابي و'حراس ابن خلدون'

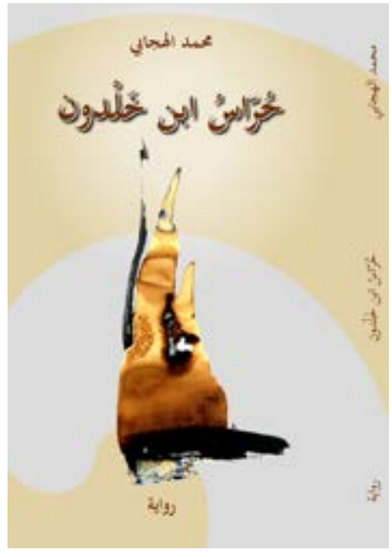

وقع الكاتب المغربي محمد الهجابي على رواية موسومة بـ'حراس ابن خلدون'، صدرت في الآونة الأخير ضمن منشورات دار القلم. تبدأ أحداث الرواية من أواخر الستينيات من القرن العشرين، وتستمر إلى مطلع التسعينيات. عقدان من الزمن طبعا جيلا من المناضلين، تواترت أفواجه على السكن في دار، في حي الأطلس، في مدينة فاس، أطلق عليها اسم 'دار ابن خلدون'؛ إذ ارتبط هذا الاسم بمناضلي بمنظمة '23 مارس'، لا سيما من درس منهم في جامعة محمد بن عبد الله في فاس.

ويعرض هذا العمل السردي التخييلي مسارات أفواج من مناضلي 'حركة 23 مارس' التي مرت بمرحلة العمل السري وشبه السري في المغرب، منذ أوائل سنة 1970، ثم بإشرت مرحلة الشرعية القانونية في سنة 1983، عقب صدور 'عفو ملكي' عن السياسيين المنفيين خارج الوطن، بداية الثمانينيات، ضمن وضع سياسي فرضته القضية الوطنية، واحتدام الأزمة الداخلية. وكان لابد أن ينقل هذا 'الزمن السردي' الكثير من الظلال، التي أرخاها العقدان بانغلاقهما وعنفهما تارة، وهو الغالب، وبانفراجهما ومرونتهما، تارة أخرى، على حيوات 'حراس ابن خلدون' شأنهم في ذلك شأن باقي فصائل الصف الوطني الديمقراطي.

معرض تكريمي للتشكيلي محمد بوزباع بتطوان

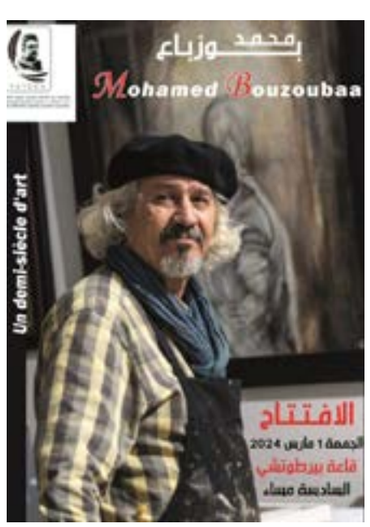

تتواصل إلى غاية 31 مارس الجاري فعاليات المعرض التكريمي الذي تنظمه مؤسسة عبد الخالق الطريس للتربية والثقافة والعلوم للفنان التشكيلي محمد بوزباع بمدرسة الصنائع والفنون الوطنية في تطوان.

ومحمد بوزباع هو خريج المدرسة الوطنية للفنون الجميلة بتطوان سنة 1979، وخريج الأكاديمية الملكية للفنون الجميلة ببروكسل سنة 1983. وقد أقام هذا الفنان التشكيلي سلسلة من المعارض الفردية والجماعية، منذ نهاية السبعينيات، في المغرب وفرنسا وإسبانيا والبرتغال وإيطاليا والاتحاد السوفياتي سابقًا. ولمع اسمه على الصعيد الوطني منذ المعرض الكبير الذي أقامه سنة 1987 في رواق 'نظر' بالدار البيضاء، إضافة إلى معارضه في تطوان وطنجة والرباط وغرناطة ومدريد ومارسيليا، وهي معارض فردية وأخرى جمعته بكبار التشكيليين عبر العالم.

كما ارتبط اسم بوزباع بالبراعة في الرسم، وهو يجمع بين التقنية والخبرة الأكاديمية من جهة، وعرض الإحساس الفني وتقديمه في اللوحة. وقد استطاع أن يتمرد على التقنية بالتقنية نفسها، وأن يتجاوز مرحلة الرسم الأكاديمي بقيم وقواعد الأكاديمية نفسها. وبعد ذلك، سوف يبرع في تقديم أعمال جديدة بتقنيات مختلطة، راكم فيها كل خبراته الفنية، وقدم بورتريهات ومشهديات واقعية ومناظر طبيعية، مستفيدًا من جماليات المسرح والسينما، ومطورا أسلوبا فنيا اختطه لنفسه منذ البدايات.

حديث تجديد الدين.. بين د. القرضاوي ود. أحمد توفيق

مصطفى الهاشمي

ليس من قبيل الصدفة أن يكون عنوان درس السيد الوزير أحمد توفيق في افتتاح الدروس الحسنية لهذه السنة (1445-2024) أمام عاهل البلاد جلالة الملك محمد السادس، هو نفسه العنوان الذي عنون به يوسف القرضاوي درسه أمام الحسن الثاني إبان فترة الثمانينات من القرن الماضي، وأثار وقتها ضجة كبيرة بسبب الأخذ والرد بينه وبين جلالة الملك حول ألفاظ الحديث وروايته .

القرضاوي في الحالتين كان بمثابة الحاضر الغائب، لأن النص الذي أثار لغطا في محاضرة السيد الوزير هذه السنة كان حول موضوع الربا.. يقول السيد الوزير: "... أما القضية 13 فتهم التعامل مع الأبناك، ذلك أن بعض المتكلمين في الدين قد أحرجوا ضمير المسلمين بالقول إن الربا هو الفائدة على القرض بأي قدر كانت...".

آه، هذه الربا الذي أفتى فيها القرضاوي لأصحاب الضرورات في ديار الغرب بإباحة اللجوء اليها لغياب البديل الإسلامي... ولسوء حظ الفتوى أنها صدرت من المغرب حيث كان يتواجد القرضاوي في عطلة، والتي قرأها الفاعل السياسي في المغرب قراءة خاطئة ودفع بالمجلس العلمي الأعلى على عجل إلى إصدار فتوى مضادة، لكن بخطاب الوزير هذا سيضطر المجلس العلمي الأعلى -ولو بعد حين- إلى إصدار فتوى أخرى بحلية بعض أنواع المعاملات البنكية في المغرب كما يظهر من درس الوزير أمام جلالة الملك .

إن الدرس الافتتاحي الذي تلاه السيد الوزير هو برنامج مستقبلي وأمر-ولو بالتراخي- على أن تشتغل المجالس العلمية على تلك المقترحات التي اقترحها السيد الوزير.

يُأخذ على المجالس العلمية، وفي شخص ممثلها وزارة الأوقاف - عند البعض -أنها لا تتعامل بإيجابية في المهام المنوطة بها، رغم الإشارات التي تعطى لها من أصحاب القرار، لتجدد خطابها الديني وتتعامل مع الواقع الجديد الذي تفرزه التحولات الفكرية والسياسية في ا لعا لم .

> **التمعن في الدرس الحسني الذي ألقاه السيد الوزير أمام جلالة الملك يبيّن أنه مهد لفكرته بطريقة تراتبية وذكية،**

ويضرب هؤلاء المؤاخذون كمثال على هذا الشرود، أنه سبق أن وجه لها سؤال عن حكم المرتد، فتم الافتاء بقتله، فأحدثت هذه الفتوى استياء كبيرًا من أعلى سلطة في البلاد، فتم على استعجال وضع خطبة جمعة بحضور جلالة الملك وبصفته الدستورية كأمير المؤمنين: موضوعها حرية المعتقد انطلاقا من الآية الكريمة "لا إكراه في الدين" وتم من خلالها الرد الشرعي على الفتوى "المنحرفة" بدلائل تناهض فتوى المجلس العلمي.

بعد ذلك، وخلال أشغال الدورة الثالثة والعشرين للمجلس العلمي الأعلى صدر من خلالها وثيقة "سبيل العلماء" في 98 صفحة تحت عنوان: "قضايا العدل والتضامن والحقوق والحريات في الأمة"، تم التراجع عن الفتوى الأولى، واضطر الوزير ليقف أمام البرامان ليعلن أن فتوى المجلس العلمي الأعلى السابقة -وهي في حقيقتها فتوى موجهة لوزارة العدل مجرد رأي فقهي وليست بفتوى.

ليس الهدف من هذا النص تأييد طرف ضد آخر، فهذا ليس موضوعه هنا، وإنما الهدف تتبع ما جرى ويجري وربط أحداث سابقة بأختها اللاحقة واستنطاق الوقائع كما هي . هذا الاستنطاق والربط يكشف أن المجالس العلمية في عمومها لا تعرف ما المطلوب منها.. فهي تائهة ولا خطط لها مستقبلية، تستقبل تعليمات وزارة الأوقاف وتقوم بتنفيذها حرفيا، هذه التعليمات لا يجوز الاجتهاد حولها... فلا أجر للمخطئ فيها. ولهذا صارت تعتقد أن كل المطلوب منها هو أن تردد كالببغاء الثلاثية المقدسة المغربية: العقيدة الأشعرية، والتصوف السني، وطريقة الجنيد) والمذهب المالكي).

إن درس الوزير، سواء اتفقنا معه أو اختلفنا، هو إنذار شديد لهذه المجالس كي تقوم من سبوتها الطويلة وتغادر مكاتبها الفارهة إلى واقع تنخرط فيه مع المجتمع المدني تحت لافتة (المذهب المالكي الأخلاقي). وتعتبر كلمة الوزير نقدا ذاتيا قبل ان يكون نقدا للآخرين. هذا النقد جاء استجابة للتحولات التي سيعرفها الشأن الديني في المغرب .

كنت ذات يوم مارا رفقة أحد الأصدقاء أمام مسجد محمد الخامس، وهو من كبار مساجد طنجة، حيث مقر المجلس العلمي الجهوي ومجلس جهة طنجة، فلاحظ صديقي انه يوجد في نفس الموقع المخصص للأوقاف، أحد فروع البنك المعروفة في المغرب، وقال لي مستنكرا ما هذا المنكر؟ بنك في نفس الارض والعقار التابع للمسجد؟ فقلت له متغافلا: "وما المانع يا صديقي؟".

"كيف يجوز لهم كراء بنك ربوي جنب المسجد وملحقاته؟ وفي نفس الوعاء العقاري؟"، قال صديقي.

قلت: "ربما للسيد الوزير رأي آخر غير الذي ترى، أنت تراه بنكا ربويا، وهو قد يراه بنكا لا يختلف عن البنوك التشاركية.

راح صديقي يستعرض الآيات والأحاديث المتعلقة بحرمة الربا وأنها من أكبر الكبائر، فقلت له: أليس الدين النصيحة؟ فقال لي: نعم. فقلت له: اكتب للسيد الوزير والوزارة وكل من له علاقة بالموضوع، فالمغرب والحمد لله له دستور يضمن حرية التعبير، فقط بأسلوب مؤدب ومتحضر.

إشكالية قروض البنك وموقعها في فقه المعاملات كان الموضوع الشاغل لدى الوزير منذ سنين، فقد سبق للسيد الوزير أن استقدم خبيرا من ماليزيا وجالس العلماء ليبين لهم بأن معاملات البنوك لا حرج شرعي فيها، لكنه لم يستطع اقناعهم بشيء، وقد كتب حينها العلامة الشيخ محمد التاويل، وهو من كبار الفقهاء المالكية في المغرب كتابه الشهير: "وأخيرا وقعت الواقعة.. وأبيح الربا"، يرد فيه على من يقول بإباحة القروض البنكية.

كان لشيخ الأزهر السابق، محمد سيد طنطاوي، كتاب يحل فيه فوائد البنوك، وهو كتاب عنوانه دال على مضمونه: "معاملات البنوك وأحكامها الشرعية"، وقد رد عليه الشيخ القرضاوي بكتاب: "فوائد البنوك هي الربا الحرام" .

كان الطنطاوي هذا صديقا للسيد الوزير، وكانت توجه له دعوة دائمة ورسمية لحضور الدروس الحسنية، وقليلا ما كان يتخلف، وحينما توفي رحمه الله لاحظ المتتبعون بصفة لافتة وايجابية بأن جلالة الملك محمد السادس وجه رسالة تعزية لأسرة الطنطاوي .

التمعن في الدرس الحسني الذي ألقاه السيد الوزير أمام جلالة الملك يبيّن أنه مهد لفكرته بطريقة تراتبية وذكية، حيث انطلق من رسالة القرن التي وجهها الحسن الثاني للامة الإسلامية .لنلقي نظرة مختصرة على الدرس:

في خطاب السيد الوزير وأثناء حديثه عن رسالة الملك الحسن الثاني الذي وجهها جلاته بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري، وبما أنه مر على الرسالة الملكية أكثر من عقدين من الزمان، فإنه انطلاقا من تلك الرسالة يذكر، بكفية مجملة، عمل إمارة المؤمنين في حفظ الدين الشامل للحياة وتجديده من خلال قضايا أجملها في عشرين مسألة، أغلبها كانت في العموم وبدون تفصيل، باستثناء المسألة الثالثة عشر المتعلقة بمعاملة البنوك، فقد قال بالحرف:

"أما القضية الثالثة عشرة فتهم التعامل مع الأبناك ذلك أن بعض المتكلمين في الدين قد أحرجوا ضمير المسلمين بالقول إن الربا هو الفائدة على القرض بأي قدر كانت، مع العلم أن حكمة القرآن جاءت للقطيعة مع ممارسة كانت شائعة في بعض الحضارات القديمة، وهي استعباد العاجز عن رد الدين بفوائد مضاعفة. وكان بعض فلاسفة اليونان قد استنكروا ذلك، أما الاقتراض في هذا العصر فمعظمه للضرورة أو الاستثمار، وفي ماعدا ثمن الأجل ومقابل الخدمات فإن الفائدة تقل بقدر نمو الاقتصاد في البلد ".

آه، هذا هو البند الذي تم تفصيله دون البنود الأخرى، وقبل استعراض البنود العشرين، تعرض الدرس لمقدمات حول التجديد والمجددين لا تخلو من دلالة، حيث بدأ بالداعية الهندي المثير للجدل: أحمد خان الذي كان من التجديدين الذين "تجرؤوا حتى على الأصول في مثل التمييز في المقتضيات بين المحكم وبين المتشابه في القرآن أو من قال بإنكار السنة كمرجع"

ويضيف الدرس مشيرا إلى التجديديين: "ومنهم من سعى الى التأويل من أجل التلاؤم مع المراد العقلي في أحكام تتعلق بقضايا كالربا أو بالعقوبات البدنية أو الجهاد أو بالمرأة، وظهر من قال بأن القرآن ليس مدونة قانونية، وبأن الشرع لا ينبغي أن يدخل في الجزئيات، وأن الاسلام قد ترك بعض عادات العرب دون تغيير فحسبت عليه "، ومن هؤلاء من اشتهر بين العرب كالشيخ محمد عبده الذي دعا إلى تفسير الدين بما يتناسب مع المعارف الحديثية، ويوحي تأليفه في التوحيد بأنه رصد بيت القصيد في أمر التجديد وهو التزكية "...

ثم بعد هذا يكشف السيد الوزير عن مشروعه المنشود. فبعد التنويه بمنهاج التصوف قال:" وقد ظهرت في الأمة كما سبقنا أن ذكرنا طائفة بنت دعوتها على التزكية، وعرفت باسم الصوفية، وكان اسهامها في الدين والتدين من أعظم ما أكرم به الإسلام أهله والإنسانية جمعاء، طائفة اهتمت إلى جانب التذكير بحقيقة التوحيد بأنواع من نفع الناس وتتلخص حكمتها في عمل واحد ألا وهو إعمال الذكر من أجل إيقاظ همة الذاكر حتى يكتسب نفسا لوامة تحاسبه على ما ينبغي أن يأتيه وهو المعروف، وما يجب أن ينتهي عنه وهو المنكر...".

ثم يختم الوزير بالقول: "والخلاصة هي أن آفاق هذا التجديد رهينة بنزول العلماء إلى الميدان انطلاقا من المساجد، معانين بالأئمة والمرشدين والمرشدات مع إحياء جماعة المسجد اذا توفرت الشروط، عاملين وفق نهج يستمد هندسته من السنة النبوية الأولى، أي التدين الذي يحرر الإنسان من الأنانية"، "لأن قضية تخليق الحياة في هذا العصر قضية مصيرية على مستوى البشرية جمعاء، ومن هذه الزاوية نفهم اقتراح مؤلف كتاب "الدولة المستحيلة" وهو اقتراح يقتضي ان يستمد المسلمون من تراثهم الأخلاقي ليصلحوا أحوالهم...".

إلياس أخوماش...

إلياس أخوماش... ابن "لاماسِيا" الذي حقق حلم اللعب للمغرب

محمد الحاجي

عندما سجل مهاجم نادي فياريال، إلياس أخوماش، هدفا قاتلا ضد نادي برشلونة، اتجه إلى ركن ملعب "مونجويك" رافعا يديه معتذرا لجمهور فريقه الأم الذي احتضنه طفلا صغيرا في أكاديميته الشهيرة لاماسيا. الجمهور الذي كان يعرف الولد جيدا ويعرف دماثة خلقه ومهاراته المذهلة وكان يرى فيه شيئا من أسطورته الراحل ليونيل ميسي، بادله الاعتذار بتصفيق طويل رغم مرارة الهزيمة داخل الميدان، وكثيرون منهم بعد المباراة عبروا عبر وسائل التواصل الاجتماعي، عن غضبهم على إدارة ناديهم التي فرطت في لاعب موهوب مثل إلياس أخوماش وتركته يذهب إلى مجاورة "الغواصات الصفراء" بعد انتهاء عقده مع البارصا.

تطواني ولد في كطالونيا

في السادس عشر من شهر أبريل من عام 2004، ببلدة إكوالادا الكطلانية، رزق مهاجران مغربيان ينحدران من مدينة تطوان، بابن سمّياه إلياس، وأضيف إليه لقب الأب والأم أخوماش شقور، ولم تمض إلا شهور قليلة على ولادته، حتى انتقل جميع أفراد الأسرة إلى بلدة أخرى قريبة من برشلونة إسمها أوستاليت دي بييرولا، هناك كبر إلياس ونشأ في أحيائها الهادئة مهتما بدراسته التي كان متفوقا فيها، رغم أن كرة القدم كانت تجذبه إليها منذ نعومة أظافره.

التحق بفئة الصغار بنادي بلدته أوستاليت، وعام واحد كان كافيا لإلياس أخوماش كي يبرز موهبته الكبيرة وإجادته اللافتة للعب بالرجل اليسرى، في مباريات دوريات الفئات الصغرى خلال العطل المدرسية، حيث كان يحضر كشافو أكاديميات التكوين التابعة للأندية العريقة، فالتقطته أعين الخبراء وقدموا لوالديه عروضا من أجل ضمه، ولم يجد إلياس وأسرته أفضل من لاماسيا في برشلونة القريبة.

في فئات البارصا، استطاع إلياس أخوماش التأقلم سريعا مع أجواء التكوين والانضباط للبرامج الصارمة التي تصنع نجوم الغد داخل أكاديمية لاماسيا، وتدرج عبر الفئات والمجموعات السنية بسرعة كبيرة نظرا لأنه كان يبدي نضجا كرويا ومستوى أكثر من سنه وفئته، فيتم تصعيده إلى الفئة الموالية.

ساعدته تجربة قصيرة لموسم واحد قضاه في نادي مانريسا الكطلاني وعاد للبارصا، حتى وصل إلى الفريق الاحتياطي للنادي وهو في سن 16 فقط. هناك ستتجه إليه أنظار الجمهور

ووسائل الإعلام في إسبانيا، فوضعوه ضمن قائمة اللاعبين الذين سيقولون كلمتهم في الفريق الأول المحتاج لإعادة البناء بعد رحيل الجيل الذهبي ونهاية حقبة الألقاب والكؤوس.

> **كانت انطلاقة إلياس أخوماش مع الفريق الأول للبارصا**

صغير في الفريق الأول للبارصا

عندما التحق تشافي هيرنانديز ببرشلونة لتدريب فريقه الأم قادما من العاصمة القطرية الدوحة، صادف قبل يوم واحد من تقديمه الرسمي لجمهور النادي، أن ذهب لمشاهدة مباراة للفريق الثاني للبارصا في الملعب المجاور للكامب نو، وكان أول ما لفت انتباهه هو وجود جناح في الجهة اليمنى اسمه إلياس أخوماش، بيسراه الساحرة ومراوغاته السريعة وقوة اختراقه لدفاع الخصم. في تلك اللحظة، وبدون أن يتردد لحظة واحدة طلب من المدير الرياضي للبارصا آنذاك جوردي كريف أن يُلحق الولد الموهوب ذو 17 سنة بفريق الكبار للبارصا ليلعب تحت إمرته ضمن مشروع إعادة هيكلة النادي.

كانت انطلاقة إلياس أخوماش مع الفريق الأول للبارصا خلال موسم 2020-2021 عندما أشركه تشافي هيرنانديز أساسيا أمام نادي إسبانيول برسم دوري لاليغا، واستمر بعد ذلك في الجلوس فوق دكة البدلاء والمشاركة في الجولة الثانية للعديد من المباريات، حتى وصل إلى نهاية عقده مع الفريق الكطالوني في يونيو 2023، ففضل خوض تجربة جديدة تفيده في مشواره الكروي، واختار الذهاب إلى إقليم فالينسيا ومجاورة نادي فياريال لكي يصنع لنفسه مكانا أساسيا في سن 19 سنة.

تألق مع "الغواصات الصفراء".

عند قدومه لنادي فياريال في بداية الموسم الكروي الحالي، وجد إلياس أخوماش مدربا اسمه كيكي سيتيين، لعب تحت إمرته لأربعة أشهر تراوحت ما بين لعبه أساسيا في بعض المباريات، والجلوس على مقاعد البدلاء في أغلب الفترات، لكن حدث أن أقيل كيكي سيتيين بسبب سوء نتائج الفريق، واستعانت إدارة النادي بالإسباني الآخر ارسيا مارسيلينو، الذي بمجرد ما أشرف على الفريق حتى بدت له مكانة لاعب شاب وموهوب مثل إلياس أخوماش في خط هجوم مسألة ثابتة لا تناقش، الثقة التي استغلها الولد التطواني جيدا وبصم على مباريات كبيرة، وساهم مع فريقه بالفوز بالعديد من النقاط والمباريات، وأصبح قطعة أساسية في تشكيلة فياريال.

المغرب اختيار القلب

رغم أن إلياس أخوماش لعب مع المنتخبات السنية الإسبانية في الفترة ما بين 2020 و2023، إلا أنه ومنذ صغره كان يعتبر اللعب لبلد آبائه وأجداده، المغرب، حلما كان ينتظره بفارغ الصبر واجتهد كثيرا ليحققه. تم ذلك عندما عملت الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم على طلب تغيير جنسيته الرياضية لدى الفيفا، والتحق بعدها بالمنتخب المغربي لأقل من 23 سنة مع المدرب عصام الشرعي، ولقي استقبالا حارا في المغرب من طرف زملائه والجمهور.

أخوماش قال عن اختياره للمغرب في مقابلة مع صحيفة "ريفيلو" الإسبانية: "في النهاية أنا مغربي، ثقافتي، جذوري، كل شيء من المغرب. كان علي أن أتخذ القرار وبالنسبة لهكذا قرارات، يجب أن تكون نابعة من القلب".

وأضاف: "هذا لا يعني أني لست ممتنا لما فعله منتخب إسبانيا من أجلي، ولجميع المدربين الذين قادوني في تلك التجربة، لكن القرارات يجب أن يتم الحسم في شأنها وهذا قراري الخاص الذي أردت اتخاذه بمفردي".

وزاد إلياس أخوماش: "في ذلك الوقت كنت أفكر فقط في التواجد مع المنتخب الإسباني، ولم أكن أفكر في ما سيحدث في غضون شهرٍ أو اثنين، لكن الوقت كان يمر وكان علي الحسم. اللعب لمنتخب على حساب الآخر مرتبط بالشعور، لأنه شيء سيظل معك طيلة مستقبلك، وأنا أردتُ اللعب للمغرب".

تدفعنا مناسبة تدشين المتحف الوطني لكرة القدم بالرباط، إلى البحث في التاريخ القديم لهذه اللعبة بالمغرب، متى ظهرت، ومن أدخلها إلى البلاد، وكيف تمت ممارستها في البداية، وكيف تطورت إلى أندية ومنافسات رسمية، وكيف وصلت كرة القدم في المغرب إلى تأسيس الجامعة الملكية المغربية، وتنظيم أول بطولة وطنية بعد الاستقلال.

كرة القدم بالمغرب..

من الظهور إلى تأسيس الجامعة الملكية

تختلف الروايات بشأن تاريخ تعرّف المغاربة على لعبة كرة القدم في شكلها المنظم الذي تطور إلى ما هو عليه حاليا، وأبرزها روايتان:

الأولى تقول إنهم تعرفوا على هذه اللعبة منذ أواسط القرن الـ19، عن طريق البحارة الإنجليز الذين كانوا يمارسونها وهم ينتظرون الانتهاء من إصلاح سفنهم كلما حلّوا بالموانئ المغربية.

أما الرواية الثانية فتقول إنه على عكس ما جرى في بلدان أخرى، فإن لعبة كرة القدم لم تصل إلى المغرب عن طريق مكتشفيها الإنجليز، بل إن الذين أدخلوا هذه اللعبة إلى المغرب هم العسكريون والمستوطنون الفرنسيون.

فقد ظل المغاربة، كما تقول بعض المصادر، يمارسون هذه اللعبة في المدن والقرى ويروّحون بها عن أنفسهم بكل عشوائية، ولم تجر أول منافسة رسمية بين فرق مؤسسة وفي دوري منتظم فوق التراب المغربي إلا في سنة 1916.

لكن قيدوم الصحفيين والمعلقين الرياضيين المغاربة، الحسين الحياني، يؤكد في كتابه "الرياضة المغربية، شواهد وأسرار" أن أول مباراة رسمية جرت أطوارها في سنة 1913 في قرية عين تاوجطات الواقعة بين مدينتي فاس ومكناس، وذلك بعد سنة فقط من فرض نظام الحماية على المغرب، والذي تحول عمليا إلى استعمار حقيقي. وقد جرت هذه المباراة بين مستوطنين فرنسيين من مدينة فاس ومستوطنين فرنسيين من مدينة مكناس.

رياضة المستعمرين

بعد إدخالهم رياضة كرة القدم إلى المغرب، توجه المعمرون إلى تأسيس أندية تؤطرهم بشكل منظم، وهكذا عرفت مدينة الدار البيضاء سنة 1913 تأسيس الفرنسيين لأول ناد خاص بهم وأطلقوا عليه اسم "الإتحاد الرياضي المغربي" المعروف اختصارا ب(USM)، تلاه تأسيس

> **بعد إدخالهم رياضة كرة القدم إلى المغرب، توجه المعمرون إلى تأسيس أندية تؤطرهم**

العديد من الأندية أبرزها ناديي (C.A. Casablanca)، و في الرباط هناك نادي الأولمبيك المغربي، وشهدت سنة 1916 انطلاق أول منافسة رسمية، أطلق عليها اسم "العصبة المغربية" (La Ligue Marocaine)، انضمت إليها كل هذه الأندية التي لم يكن مسموحا للمغاربة أن يمارسوا في صفوفها.

كما أنها كانت على الصعيد الإداري تحت وصاية الاتحاد الفرنسي لكرة القدم، الذي كان يضم 22 "عصبة" (دوري) إقليمية تمثل المستعمرات الفرنسية، من بينها 5 من شمال أفريقيا (عصبة المغرب، وعصبة وهران، وعصبة الجزائر، وعصبة قسنطينة، وعصبة تونس).

وقد فاز بلقب الموسم الأول "نادي الدار البيضاء" (C.A. Casablanca) الذي سيصبح أول بطل في تاريخ المغرب، وبعد ذلك بسنة، بدأت سيطرة نادي "الاتحاد الرياضي المغربي (U.S.M.) الذي فاز بالبطولة في 3 سنوات متتالية، قبل أن تظهر قوة النادي الرباطي، الأولمبيك المغربي، الذي فاز بالبطولة أربع مرات متتالية في أعقاب نهاية الحرب العالمية الأولى.

دخول المغاربة إلى المنافسة

في بداية عشرينيات القرن الماضي، وبسبب معاناة الأندية التي أسسها المعمرون من نقص في عدد اللاعبين، اضطرت إلى إشراك بعض المغاربة الذين كانوا يبرزون في الأحياء الشعبية ومن ضمنهم محمد بن لحسن التونسي العفاني الذي سيعرف لاحقا بـ"الأب جيكو"، وبعده عبد السلام والعربي بن مبارك وآخرون. وقد عرف المغرب فيما بعد المرحلة التي بدأ فيها تأسيس النوادي على يد الوطنيين المغاربة، وكانت السلطات الفرنسية في المغرب قد أصدرت قانونا يمنع على المغاربة تأسيس الجمعيات أو النوادي، إلا بشرط وجود من يحمل الجنسية الفرنسية في مكتبها ولو كان فردا واحدا.

ولأن فرنسا بعد استعمارها للجزائر واعتبارها مقاطعة فرنسية أعطت لكل الجزائريين الجنسية الفرنسية، فقد توصل بعض الوطنيين المغاربة إلى حيلة تضمن مكاتبهم التنفيذية مواطنين جزائريين من المقيمين في المغرب.

وبدأ المغاربة في تأسيس نواد كانوا يطلقون عليها وصف

"الإسلامي" ردا على الاستعمار الفرنسي الذي استهدف في كثير من المناسبات الهوية الإسلامية للمغرب.

وكانت أولى هذه الأندية هي الجمعية الرباطية-السلاوية التي لم يعترف بها الاستعمار رسميا إلا في سنة 1932، مع أنها أُسست في سنة 1923. كما تأسست أيضا في شمال المغرب أندية وطنية أخرى، وعلى الخصوص في طنجة الدولية سنة 1923 حيث تم الترخيص لأول ناد مغربي فيها وهو "جمعية المغرب الأقصى" وعلم طنجة.

ثم تلاها بعد ذلك بسنوات قليلة ظهور أندية أخرى تتخذ ألقابها مباشرة من المرجعية الوطنية مثل الجمعية الرياضية الرباطية السلاوية سنة 1923، والاتحاد الأدبي والرياضي الرباطي السلاوي سنة 1926، الذي سينفصل بعد ذلك وتنبثق عنه فرق هي الجمعية الرياضية السلاوية واتحاد الفتح الرباطي، والمغرب الرباطي سنة 1930، والوداد البيضاوي 1937، والمغرب البيضاوي سنة 1938والمغرب الفاسي سنة 1946، والرجاء البيضاوي سنة 1949.

تأسيس الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم

في سنة 1955، وقبل الاستقلال بسنة واحدة، أخذت الأندية المغربية المتواجدة آنذاك بزمام أمور "العصبة الوطنية" التي كانت واحدة من العصب الـ22 المنضوية تحت لواء الاتحاد الفرنسي في عهد الحماية الفرنسية، إلى يوم السابع من يونيو 1956 حيث تم تأسيس الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم بصفة رسمية، وفي 11 نونبر من نفس السنة نظم أول جمع عام تم فيه توزيع المهام والسلطات وقوانين الجامعة وتحديد أعضائها ورئيسها، كما تم تحديد جغرافية العصب الجهوية، وانطلق في شتنبر من عام 1956 أول موسم للبطولة الوطنية تحت إشراف الجامعة الجديدة، فتوّج نادي الوداد البيضاوي بالنسخة الأولى لموسم 1956-1957، وهو اللقب السادس له والأول بعد الاستقلال.

وفي الموسم الذي يليه، توج نادي الكوكب المراكشي، ثم في الموسمين اللاحقين توِج كل من نجم الشباب البيضاوي و"النادي القنيطري". كما انخرطت الجامعة في الإتحاد الإفريقي سنة 1959، وفي الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) في 1960.

زيغ الريع

حمزة الأنفاسي

انطلق شهر رمضان الأبرك لهذه السنة، وانطلق معه النقاش المجتمعي حول جودة الأعمال التلفزيونية الرمضانية التي تبث على القنوات العمومية وكذلك القنوات الخاصة المتعددة. هذه القنوات التي تحصل على جزء مهم من ميزانياتها من المال العام، إما بشكل مباشر في حالة القنوات العمومية، أو بشكل غير مباشر في حالة القنوات الخاصة.

هذا يعني أن الشعب – صاحب الشأن والسيادة – هو من يدفع رواتب كل المتدخلين في إنتاج هذه الأعمال التلفزيونية، ومن حقه أن ينتقد الأعمال التي لم ترق إلى المستوى الذي يرجوه من أعمال أدى ثمنها من ماله الخاص. كما أنه لا يحق لهؤلاء المتدخلين في إنتاج هذه الأعمال التلفزيونية أن يتضايقوا من هذا الانتقاد، وخصوصا لا يحق لهم أن يطلبوا من الشعب – دفع رواتبهم – أن يغلقوا التلفاز ويحملوا كتابا إذا لم يعجبهم المحتوى المقدم.

هذه الفكرة الأخيرة فعلا استفزتني عند سماعها من لدن ممثلة ومخرجة مغربية، لم يكن أن يكون لها مسار فني لولا أموال دافعي الضرائب. فهي إما تتلقى الدعم من خلال الأعمال التلفزيونية عبر الدعم الذي يدفعه المغاربة لتمويل القنوات العمومية، أو أنها تتلقى الدعم من خلال الأموال العمومية التي يمنحها المركز السينمائي المغربي. بصيغة أخرى، هذه الممثلة تعيش على ريع من نوع آخر، ريع الفن.

كيف يعقل أن المغاربة كشعب يضمنون لقطاع معين مصدرا دائما ومستمرا للتمويل؟ ومقابل ماذا؟ مقابل انتاجات تلفزيونية متهمة كل سنة بتدمير القيم والقدوات الاجتماعية الوطنية (كالأستاذ ورجل الدين) وتعويضها أو تطبيع المجتمع مع قدوات سيئة (كالشيخة).

التمويلات التي تتلقاها الإنتاجات التلفزيونية ليست بالهينة، فالكثير منها يصل إلى ملايين الدراهم مقابل السلسلة الرمضانية الواحدة أو الشريط السينمائي الواحد. في اعتقادي لا يمكن أن يستمر الحال الذي يمول فيه المغاربة (الذين يعتبر جزء كبير منهم محافظين) من مالهم الخاص أعمالا تلفزيونية وسينمائية تساهم في تدمير منظومة قيمهم.

وعند سؤال أحدهم عن الهدف وراء التركيز على نماذج سلبية وتحويلها إلى شخصيات مركزية في عدة أعمال درامية، يتحجج الكثير منهم بأن هذه النماذج موجودة في المجتمع، وأنهم لم يختلقوها من فراغ.

أولا، ليس كل ما في المجتمع يجب التركيز عليه والتطبيع معه وتصويره على أنه هو الطاغي على سلوك وقيم المجتمع. فكثير من السلوكات داخل المجتمع يقوم بها جزء من المغاربة، ولكنهم لا يريدون للمجتمع التطبيع معها. ثم لماذا يتم التركيز من طرف الكثير من الأعمال على السلوكات السلبية فقط عندما يتعلق الأمر بالشق الاجتماعي أو الفئات الاجتماعية غير ذات النفوذ. لماذا لا يتم التركيز مثلا على قضايا الفساد السياسي التي تكاد لا تغيب عن الصفحات الأولى للجرائد؟ ولنا في ما يقدمه هذه السنة الكوميدي الأكاديمي محمد باسو خير مثال.

> **ما ميز باسو هذه السنة هو أولا وقبل كل شيء جرأته على نقل واقع آخر**

ما ميز باسو هذه السنة هو أولا وقبل كل شيء جرأته على نقل واقع آخر غير ذلك الذي نمطته الكثير من الأعمال التلفزيونية المكررة حبكتها. ثم ميزه حس الاستماع الذي يتميز به باسو لما يروج في المجتمع ومحاولته الإسهام في النقاش العمومي من موقعه كفنان يحترم نفسه وفنه وجمهوره.

أعتقد أنه آن الأوان لوقف ريع الفن وفتح المجال للاجتهاد في الإبداع الفني. فقد أبانت نماذج متعددة لفنانين مختلفين ومجموعات فنية مختلفة عن وجود نموذج اقتصادي يمكن أن يضمن حياة كريمة للفنان، شريطة أن يبدع في إنتاج محتوى يحترم المواطن المغربي، ويجعله يدفع مقابلا من أجل مشاهدة ذلك المحتوى، عوض الاتكال على ريع أموال دافعي الضرائب المضمون، الذي يشجع على النمطية وقتل الإبداع.

the Voice صوت المغرب

الصوت هنا... صوت المغرب.

the Voice
صوت المغرب

صوت المغرب... صدى الحقيقة